المشرق
بيروت

تموز ١٩٣٩

نفوذ السيد المسيح

في حياتنا الادبية

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

قبل طرق باب هذا البحث ، نرى من اللائق ، لا بل من اللازم ان نحدّد الحياة الادبية . فما ادراك ما هي ؟ لكلمة الأدب او آلاداب في اللغة العربية جملة معانٍ ، منها معنى حسن المعاملة والكياسة مع الناس ؛ ومنها دلالتها على مجموع نتاج القرائح في امّة من الامم ، سوآء كان ذلك في باب النثر او النظم ؛ ومنها اطلاقها على الاخلاق . وهذا هو المعنى المراد من لفظ الادب او آلاداب في ما نحن في صدده . فما الاخلاق ؟ الاخلاق عادات ، والعادات مَلَكات حاصلة فينا بتكرار الافعال ؛ والافعال نتاج القوى الانسانية . وطبقاً لهذه القوى ، تقسم الافعال الى انواع : منها الافعال البدنية ، ومنها الافعال

العقلية ؛ ومنها الافعال الارادية. ولهذه الافعال الارادية ميزة خاصة في الانسان، دون بقية الخلائق، وهي ميزة الحرية.

على ان لكل حياة غايةً ونظاماً: واذ كانت حياتنا، على اختلاف انواعها مفعولاً من مفاعيل قدرة الله الخالق الذي، لحكمته السامية، لا يصنع شيئاً عبثاً، فقد عين سبحانه لحياتنا غاية ونظاماً. فغاية هذه الحياة هي الحياة الاخرى؛ ونظام هذه الحياة هو الشرائع والسنن المختلفة التي وضعها عزَّ وجلَّ لنبلغ، باتّباعنا اياها، الى غايتنا المقصودة. واذا كان الامر كذلك، وجب على المرء ان يطابق اعماله، ومن ثمَّ اخلاقه، لاوامر الله ونواهيه. بيد انه اذ كان، كما قلنا، متصفاً بالحرية، كان في امكانه ان يسير الى غايته عاملاً بهذه الشرائع الالهية او ان يحيد عن السبيل المؤدية اليها، بمخالفته السنن المذكورة؛ مما نجم عنه وجود الخير اي الائتمار باوامر الله؛ ووجود الشرّ اي معاكسة ارادته القدّوسة. ونجم ايضاً وجود حياةٍ ادبية صالحة، وحياةٍ ادبية طالحة؛ مما يمكننا معه ان نحدد الحياة الادبية بعبارة واحدة وهي انها حياة الاخلاق الفاضلة الدافعة صاحبها الى اتيان الاعمال الصالحة واجتناب الاعمال الشريرة، بلوغاً الى الغاية المتوخاة من خلقه ووجوده في هذه الدنيا، اي بالآخرة الخيّرة، والتمتع بالسعادة الخالدة.

فاذا تقرر هذا كان في وسعنا الآن ان نبحث عن نفوذ السيد المسيح في هذه الحياة الادبية اي الاخلاقية. ولكي يكون البحث مفيداً، لننظر اولاً في ماهية هذا النفوذ، ثم في نتائجه.

* * *

نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية نفوذان: نفوذ خارجي، وهو نفوذ المثال؛ ونفوذ داخلي، وهو نفوذ فاعلية النعمة.

اما في شان النفوذ الخارجي فنقول:

ان من اراد السير في سبيل الرقي والبلوغ الى الكمال، في اي ميدان كان، تحتم عليه، باديء بدء، ان يتخذ له مثالاً، هو الصورة العالية، او

المثلى لحقيقة الكمال الراغب فيه . وطبقاً لهذه القاعدة ، نرى ان للفنان مُثلى ، وللشاعر مُثلى ، وللخطيب مُثلى ، اي ان لكل امرئ ، عامل بعقل وحكمة ، مثلى . فمن ثمَّ وجب ان يكون للمسيحي ايضاً مُثلى ، يسعى وراء تحقيقها في حياته الادبية . فما هي هذه الصورة المثلى ؟ هي صورة كل فضيلة وكمال ؛ هي صورة القداسة السامية ؛ هي صورة الاله المتأنس ؛ هي صورة ربنا يسوع المسيح . ان صورة المسيح لصورةٌ طالما جدّ الاساتذة النوابغ في ان يرسموها على قماشهم ، او ان ينقشوها على رخامهم ، او ان يصوغوها بفصاحتهم ، دون ان يتوصلوا الى ادراك مرغوبهم . على ان ما لم يستطع المصوّر تحقيقه على قماشه ، ولا النقاش على رخامه ، ولا الشاعر في قصائده ، ولا الخطيب في خطبه ، فمن دعوة المسيحي ان يسعى في ابرازه في شخصه :

اجل ! اننا نسمع المخلّص عينه يحرّضنا بقوله : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل » فكأننا به يقول : ايها المؤمنون ، عليكم ان تعتقدوا بكمال الله ؛ لكن ، ان اردتم ان تعرفوا ما هو كمال الله ، فايقنوا انه انا هو بذاتي . نعم انا صورة الآب وجوهره ؛ انا ضياء مجده ؛ انا الكمال الالهي الآتي اليكم بهيئة بشرية . فانا اذن الواجب عليكم ان تقتفوا آثاري ، ان رغبتم في الحصول على الكمال . هذا هو المثال الذي ينبغي لنا ان نحققه في حياتنا الادبية . فمن شاء الاقتداء بغيره ، يمكنه ان يصبح فيلسوفاً ، او شاعراً او فنّاناً ، او خطيباً ، حتى عبقرياً ؛ واما ان يكون مسيحياً ، فلا ، ثم لا . ان المسيحي اللائق به هذا الاسم هو الذي يطبع في نفسه رسم السيد المسيح ؛ هو الذي ينشئ من ذاته صورة المسيح ؛ فيضحي مسيحاً آخر . ان الكلمة صار جسداً وحلّ فينا . وقد عرض نفسه بشكل بشري ، ليكون مثالاً الهياً لنا . فانه متصل باللاهوت من جهة ، لانه اله حقّ ؛ وهو متعلق بالبشرية من جهة اخرى ، لانه انسان حقّ . فما اعظم صورة الاله المتأنس ، ما اجلّها ، ما اجملها ، ما اسطع بهاءها ! ولذا فقد شغفت بها الشعوب ، فاحبتها ، واقتدت بها .

اجل ! ان وجه المسيح لهو كالشمس للناظر اليه ؛ لانه يهبه النور

والحرارة والحياة . وفضائل المسيح قد اذهلت العالم ، فجذبت اليه النفوس ، فاخضعتها طوعاً لسلطانه · لانه لاسمه السجود ، قد علّم الجهّال ، وقاد التائهين ، وارشد المتغافلين ، وعزّى الحزانى ، واشبع الجياع ، واروى العطاش ، وشفى المرضى ، واقام الموتى.

قد احبّ الصبيان وباركهم ؛ واشفق على الفقراء ، فدعاهم اليه ، فقبلهم في معشره ، فجالسهم ، فآنسهم ، فتواضع امامهم ، بل قل خدمهم.

التجأ اليه الخطاة ، فكان لهم كالملجأ الحصين ؛ اذ غفر لهم جرائمهم ، وحضّهم على التوبة ، وعدم الرجوع الى سيّئ حياتهم السالفة.

اتخذ النفوس رعيةً له ؛ فسار بها ، كالراعي الصالح ، الى المناجع الخصبة ، والمناهل العذبة ؛ ووقاها من هجمات الذئاب الخاطفة . قد اضحى أباً واصبح الورى اسرته الكبرى ؛ فاقام أود اولاده الامناء ؛ متوقعاً ، بطول اناة ، عودة الشُطَّر نادمين ، ليضمّهم الى صدره ، ويرجعهم الى بيته . زاد حنوّه على حنوّ الامّ الرؤوم ، الحاضنة انجالها كحضن الدجاجة فراخها تحت جناحيها.

عامل اصحابه معاملة الخلّ الممحض الوداد ، الغاضّ الطرف عن السيئات ، غير المقابل الخيانة الّا بانبساط الجنان وعذوبة اللسان. ولم يكن ليمسّ الّا بتوقّ القصبة المرضوضة ، خشية ان تنكسر ، والفتيلة المدخّنة ، لئلّا تنطفئ . وقد قضى سحابة عمره صانعاً المعروف ، مشرقاً شمسه على الاخيار والاشرار ، وممطراً على الابرار والظالمين. مما حمل ، ولا يزال يحمل الناظرين اليه والمشغوفين بحبّه ، على الهتاف قائلين:

هذا هو المثال الذي يخلق بنا ، بل يجب علينا الاقتداء به . وان لم يكن لنا مندوحة الى تحقيقه بكماله ، فلا اقلّ من ان نحتذي شيئاً منه . فمنهم من يتأثره في تواضعه ، ومنهم في محبته ؛ ومنهم في طاعته ؛ ومنهم في وداعته ، ومنهم في نقاوته ، ومنهم في تجرّده ، ومنهم في تفانيه ، ومنهم في تضحيته . الخلاصة ، يجهد كل منهم في طبع رسمه في نفسه ، بطريقة من الطرائق . وكلما اشتدّ انطباع صورة المسيح في قلوب المؤمنين ، ازدادت مسيحيتهم ؛ وبازدياد مسيحيتهم ، تنمو فضيلتهم وقداستهم وهكذا يظهر ان

الحياة الادبية هي حياة الفضيلة ؛ وان اوج الفضيلة هو القداسة ؛ وان كليهما لا يتمّ الّا بتقفّي آثار المخلّص الالهي . وهــذا هو نفوذ المسيح الخارجي في حياتنا الاخلاقية.

* * *

على ان نفوذ الرب لا يقف عند هذا الحدّ ، بل انه يؤثر في حياتنا تأثيراً له فاعلية داخلية. لان المسيح ليس مثال حياتنا فقط ، بل حياة حياتنا الادبية. وهي ليست بمتوقفة على حياتنا الطبيعية البشرية ، بل هي قائمة في ما يضاف الى تلك من حياة اسمى ، تفوقها تفوّقاً عظيماً . وهذا ما يجعل المسيحي متميزاً عن غيره . لانه ، فضلًا عن الحياة البشرية ، يحيا حياةً فائقــة الطبيعة ، هي حياة المسيح فينا ؛ فالمسيح مركزها وروحها ومحرّكها . ممــا ينشأ عنه ان المسيحي يعيش في المسيح ، والمسيح يعيش فيه ، طبقاً لقول الرسول المصطفى: « ان الحياة لي هي المسيح .» وقوله الآخر: « انا حيّ ؛ لا انا ، بل انما المسيح حيّ فيّ ».وان كنا جميعاً عائشين بحياة المسيح، فنحن اذن اخوة.وان كنا كثيرين ، فمع ذلك نحن واحد بالمسيح ؛ لانه هو الرابط الذي يربطنا ، فيوحّدنا.

ونتيجة حياة المسيح فينا هي انها تولّد في نفوسنا حسّاً يجدر بنا ان ندعوه الحسّ الخاصّ بالمسيحيين . لما هو مقرّر من ان كل حياة تنشئ في صاحبها حسّاً يطابق طبيعتها . وهذا الحسّ هو حسّ روحاني الهي ، هو حسّ الربّ الذي نوّه به الرسول المصطفى بقوله : « ليكن فيكم من الافكار والاخلاق ما هو للمسيح يسوع » وهو شعور يساعدنا على ادراك شرفنا الذي لا مثيل له ؛ ذاك الشرف الذي يلزمنا بالسعي وراء كل ما هو طاهر وسامٍ واهل بمقامنا ؛ ويثبت لنا اننا من أرومة وسلالة الهية ، هي سلالة القديسين ؛ ويوحي الينا واجبنــا العظيم ، واجب بذل الجهد في تحقيق الكمالات الالهيــة في شخصنا واعمالنا . ويولّد فينا الكراهية لكل شر ، والميل الى كل خير . ومن ذلك ينشأ في قلب المسيحي التوقان الى كل ما هو روحاني ، سماوي ، اي الى القداسة. اجل ان التوقان الى القداسة هو رغبة كل من يشعر في نفسه بنفوذ قدّوس القديسين؛ التوقان الى القداسة هو هيام الجنان ؛ هو اشتياق النفس ؛ هو اندفــاع كل

الحياة ؛ هو هتاف الانسان القائل : اني مسيحي ؛ وبهذه الصفة احوي في داخلي حياة المسيح . اني مسيحي ؛ ولذا فلا يمكنني ان انفصل عن المسيح . ولذا فهما كلّفني الأمر ، اني عازم ان أُضحيَ فاضلًا صالحًا قديسًا. وكما ان النبات مفتقر الى الندى ، والزهر الى الشمس ، والصدر الى الهواء ، فالمسيحي مفتقر الى حياة المسيح فيه . وهذا ما يفهمنا ان الثمرة الناشئة عن هذه الحياة هي ثمرة الفضيلة ، هي ثمرة القداسة . وادينا القي بذرها ، سواء اكان في فرد ، ام عائلة ، ام أمّة ، فهناك تنمو وتزهر وتزهو وتثمر. وهذا نموّ المسيحية الحقّة. لانه كلما ازداد المرء مسيحيةً ، ازداد فضيلةً وقداسة . ولذا فالانسان المدّعي امكان فصل حياته الاخلاقية عن حياته المسيحية يغشّ نفسه ويغشّ غيره . فمن اراد انماء مسيحيته ، فعليه بانماء الفضائل في اخلاقه . وهذا لا يحصل الّا بنفوذ المسيح الذي هو مثال حياتنا الادبية ، وحياتها ، ومحرّك قواها واعمالها.

* * *

ها قد وقفنا على حقيقة نفوذ المسيح في حياتنا الادبية ؛ فلنرَ الآن هل تحقق هذا النفوذ بالواقع . ويمكننا معرفة ذلك باطلاعنا على نتائجه في خلال تاريخ الدين المسيحي . فاننا اذا استنبأنا هذا التاريخ ، وجدنا فيه شاهدًا جليًا ان ديننا القويم انشأ بين البشر ، في كل زمان ، وكل مكان ، وبفعل قوته الذاتية ، جماعات فجماعات من الافاضل والقديسين . وما تاريخ النصرانية الحقة سوى تاريخ السيد المسيح ناميًا ، زاهرًا على كرور الاحقاب ، مظهرًا قوته ونفوذه ، ببواهر القداسة المتلألئة انوارها في جنوده المسيحيين ، وابطال الحياة الادبية . مما يسوغ لنا القول معه ان القداسة ، التي هي الفضيلة بالغةَ حدّ البطولة ، مزيّة خاصة بالدين المسيحي دون غيره.

اجل ان العالم القديم قد امتاز بعظائم ومفاخر ليس من شأننا انكارها . فقد نبغ فيه شعراء فحول ، وادباء فضلاء ، وخطباء فصحاء ، وكتّاب بلغاء ، وفنّانون فنّانون ، وفلاسفة جهابذة ، ومشترعون محنكون ، وقوّاد عظام ، وابطال مشاهير ، لا يزال نور عبقريتهم ساطعًا في فلك تاريخ البشرية . الّا

ان طبقةً من الانام ، فريدةً في جنسها ، قد خلا منها المجتمع القديم ، الا وهي طبقة القدّيسين . اننا لا نجهل ان الوثنية قد اصعدت على الهياكل رجالاً كلّلتهم املم الجمهور باكاليل سماوية . لكن هؤلاء الرجال لم يتسنموا ذروة هذه الامجاد الا بفعل القوة والبطش ، لا بل بفعل الجرائم والقبائح ، اي بكل داعٍ ما خلا داعي القداسة . ولم يكن هؤلاء انصاف الآلهة المتبوّؤون العروش في الهياكل الوثنيّة يشخّصون الانسان مرتفعاً نحو الألوهية ، بفضل كمالاته ، بل كانوا يمثّلون الألوهية هابطة الى درجة الانسان ، بفعل الانحطاط والمذلّة . وغني عن التبيان ان ذلك لم يكن مجلبةً مجدٍ وفخر للبشرية ، بل مدعاة خزي وعار للالوهية .

هذه كانت حالة العالم القديم المحتاط بشعرائه وخطبائه ومشترعيه وابطاله وسائر كبار رجاله . وبينما هو على تلك الحال ، اذ ظهر فجأةً حادث اذهل ، منذ نشأته ، ذاك العالم الذي ، مع كل ما افتخر به من المجد والسؤدد ، لم يكن الا نازلاً في دركات الفساد . فما يا ترى قد جرى ؟ الذي جرى هو ان الدين المسيحي قد ظهر وانتشر . وقد تجلت فيه منذ فجره خاصته الفارقة ، اي تجلت فيه حياة مؤسسه الالهي في شخص اتباعه ، فاثبتت الوهيته بالفضائل الفائقة الطبيعة ، اي بالقداسة . وبالحق ان رسل المسيح وتلاميذهم لم يمتازوا بما أوتوه من صُنع العجائب وحسب ، بل قد كانت مزيتهم الفضيلة السامية . هذا السموّ حتى ان جميع المؤمنين ، في تلك الحقبة ، كانوا يُدعَون قديسين . وبعد الرسل ومعاصريهم ، قام في الكنيسة ، مدة القرون الاولى ، زمرٌ في زمرٍ من الاولياء وابطال الفضيلة ، فضلاً عن الوف في الوف من الشهداء الذين بلغت منهم القداسة الى اقصى حدّها ، اي الى سفك دمهم من اجل ايمانهم . وفي هذه الحقبة القديمة ، قد سطعت في سماء البيعة الشرقية والغربية شمس آبائنا القديسين الذين اضحوا جهابذة في العلوم ، وفرساناً بواسل في مضمار الذبّ عن حياض الدين ، وابطالاً في الفضيلة . نجتزئ بذكر اشهرهم :

اغناطيوس النوراني ، اكليمنضس الروماني ، بليكربس ، ايريناوس ، اثناسيوس ، باسيليوس ، غريغوريوس ، قورلس ، ايرونيموس ، امبروسيوس ،

اوغسطينوس ، يوحنا فم الذهب ، افرام السرياني .

ولا تظن ان القداسة كانت مقتصرة على زمن نشأة الدين والقرون الاولى بل ان مجراها لم ينقطع قط في طبقات المؤمنين ، على مرور السنين ، وتوالي العصور لاننا اذ انتقلنا من الاجيال القديمة الى القرون الوسطى ، رأينا القداسة في خلالها سائرة باطراد ، ونامية بازدهار عجيب . اجل قد تلألأت القداسة في تلك العصور التي لا يزال ينعتها بعض المتشدّقين من اهل عصرنا بالعصور المظلمة ، اي عصور التقهقر والبربرة . اذ اننا نرى فوق تلك القمم العالية التي يطيب لله ان يرفع اليها القديسين ليرسلوا منها انوارهم الى اقاصي المعمورة ؛ اجل هناك نرى ، متّشحين بجلباب القداسة ، اشخاصاً ذوي عظمة مذهلة ، منهم برنردوس ، انسلموس ، دومنكس ، فرنسيس الاسيزي ، توما الاكويني الملفان الملاكي ، بونونتورا الملفان السرافي ، البرتس الكبير ، لويس ملك فرنسة ، منصور الفراري ، كترينة السيانية .

وبينما نشاهد هؤلاء الجبابرة ، جبابرة الفضائل وامثالهم كثيرين يشرقون على العالم شمس الفضيلة والقداسة ، نرى الوفا والوفا من الرجال والنساء يحققون هذه القداسة في اشخاصهم وان كان بدرجة اوطأ . كل ذلك لان روح الفضيلة المسيحية كان يرفرف فوق تلك العصور المضطربة بشعوبها المشتبكة ، كما كان روح الله يرفرف على المياه في بدء الخليقة .

واذا خامرك الشك بعد هذا ، في فاعلية نفوذ المسيح في الحياة الاخلاقية ، فالقِ معنا نظرة على الاعصر الاخيرة . لاحظ ذاك القرن الذي جرى فيه الاضطراب الهائل ، قرن الاحتجاج الذي قلب العالم الديني ، وهيأ الانقلاب السياسي ؛ ذاك القرن السادس عشر الذي لعب فيه اولاد الكنيسة المردة امهم بلقب بابل الثانية . ففي هذا العصر وما يليه قد سطعت ، كما في القرون الخوالي ، انوار القداسة . اذ فيه اشتهر قديسون وقديسات ، من مثل تريزية الكبيرة ، يوحنا الصليبي ، اغناطيوس لويولا ، فرنسيس كسافاريوس ، فرنسيس السالسي ، منصور دي پول ، فيلبس نيري ، وغيرهم كثيرون .

فالتاريخ اذن شاهد ان الكنيسة لم تخلُ من القداسة على تعاقب القرون ،

واختلاف الازمان ، وتقلّب الاحوال. وعصرنا هذا الحاضر ، هذا العصر الذي قد اعترته امراض ادبية متنوّعة ، اوَ تتصور انه معدم من القداسة ؟ كلا ، اذ في عصرنا هذا قد ظهر قديسون عديدون نرى في مقدمتهم خوري آرس قدوة الكهنة وشفيعهم ، وبُنوًا لأبر صاحب القداسة المذهلة ؛ وغير بعيد عنا ، لا بل في ايامنا الحاضرة ، قد عاشت تلك الزهرة النقية ، زهرة الكرمل ، تريزية الصغيرة ، التي لا تزال من علو السماء تمطر العجائب والبواهر على الارض. وهل تعبر سنة دون ان يرفع فيها الحبر الاعظم عدة افاضل على هياكل الكنيسة ليمجدهم المؤمنون ، ويقتدوا بفضائلهم . وهذا شرقنا العزيز ، بعد ان كان مبعث القداسة ، لأن فيه ظهر الرب القدوس ؛ وبعد ان اشتهر فيه مئات والوف من النساك والمتوحدين القديسين ، ومن الشهداء والملافنة المعترفين ، لم يخلُ حتى في ايامنا هذه ، مع قلة المسيحيين فيه ، من رجال ونساء ، نالوا نعمة الاستشهاد ، او بلغوا ذروة القداسة.

***

على ان هناك من الناس ، حتى بين المسيحيين ، من يقولون: اين هم القديسون؟ ألا اورنا القدّيسين ، فاننا لم نصادفهم! فلمثل هؤلاء يحقّ لنا ان نجيب قائلين: اجل ! يا قوم ، انكم لم تلاقوا القديسين ، وهذا لربما كان لتعس حظكم. ان لم تلتقوا بالقديسين ، فهل يا ترى بحثتم عنهم ؟ وفي اي طريق ؟ انكم سائرون في طريق الامجاد الباطلة ، والاطماع المعقوتة ، والغنى والثروة والارباح المحرمة ، والافراح والملذات الذميمة ، ولعلكم سائرون في سبيل الخلاعة. فلا عجب ان كنتم لا تصادفون القديسين ؛ لانه شتان بين طريقكم وطريق القديسين . لكن ولّوا وجهكم شطر الفضيلة : من مثل التفاني والكفران بالذات ، والتقشف والاماتة والصبر والوداعة . الخلاصة اتجهوا الى طريق الصليب والجلجلة ، فهناك ترون ما يعجب ويدهش ، هناك ترون القداسة زاهرة بين جميع الصفوف والحالات ، بين الافراد والجماعات ، في العائلات والجمعيات ، بين العلمانيين والكهنة والرهبان والراهبات. هناك تشاهدون اناساً يزهدون في المال والعيال ، ليخصصوا ذاتهم لخدمة الله وعبادته . منهم من ينسون ارومتهم وكرم محتدهم ،

فيتصاغرون متنازلين الى مداراة الضعفاء والسقماء . منهم شبان وشابات ، من مصافّ الرهبان والراهبات ، يضحّون بحب الاوطان ، والاهل والخلان ، فيظعنون الى الاصقاع النائيـة ليتزلوا ميدان حرب هي حرب الفضيلة ، هي حرب المحبة والرحمة ، هي حرب القداسة . هناك تلاحظون اناساً ، قاضين سحابة عمرهم ، في تربية الصغار ، وايواء الايتـام ، وتعليم الجهال ، واصلاح المغرورين ، وهداية الضالين . هناك ترون عيوناً تدمع ذارفة العبرات السخينة على كل نوع من انواع الآلام . هناك تجدون ايدياً ذات نقاء من جهة تهزّ الاطفال في المهود ، ومن جهة اخرى تعين الشيوخ والعجائز ؛ ثم تغسل الجروح النتنة ، وتضمد الكلوم المؤلمة . هناك ترون صدوراً نحيفة تستنشق الروائح الفاسدة في المستشفيات والملاجئ والدور الحقيرة . ومـا هو افضل من كل هذا ، وما هو روح كل هذه ايات الفضيلة ، انكم تجدون هنـاك نزاهة وتجرداً بالغاً اقصى حده ، واهتماماً برقة دونها رقة الأم الرؤوم ؛ ممـا لا يتمالك المرء بازائه ان يقف حائراً ، ويهتف صارخاً : ان هذا الحادث غريب ؛ ان هـذا المشهد عجيب ، لم تألفه البشرية في القديم .

اجل ان هذا الحادث لغريب ! وهذا المشهد لعجيب ! لانها حادث ومشهد الدين المسيحي الذي كان في نشأته ولم يزل ، على كرور الايام ، وتعاقب الاعوام والعصور ، دين الاعمـال المذهلة ، دين الفضيلة المثلى ، دين القداسة السامية ، دين الرجال العظام ، دين الابطال البواسل ، اي دين الاولياء القديسين . وما ذلك الّا من تأثير ونفوذ مؤسسه الالهي ربنا يسوع الذي هو مثال القداسة ، مؤتي القداسة ، مركز القداسة ، رب القداسة ؛ وهو باكورة القديسين ، زعيم القديسين ، رب القديسين ، قدوس القديسين . له المجد والحمد في كل آن والى دهر الدهور ، آمين !

العائلة اللبنانية

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية

حضرة الشيخ سليم الدحداح

١

يلذُّ لكل خطيبٍ كاتبٍ ان يبحث في هذا الموضوع ؛ لانه ، اذا كان من خدَمَة الدين او ديّناً ممارساً ، يجد في العائلة مهد الكنيسة الذي يتربّى فيه اعضاؤها ؛ فهي بنموّ العائلة تنمو ، ولها على العائلة حنوّ وبها عناية لا يذكر بجانبها حنوّ الامهات على بنيهنّ ولا عنايتهنّ بهم . ففي العائلة آمالها ومستقبلها .

وسواء كان الخطيب كاتباً اجتماعياً ، او سياسياً ، او شاعراً ، فانه يجد في العائلة نواة المجتمع الانساني وقوّته الاساسية التي يتوقف نموّ المجتمع الادبي ، وازدهاره الاجتماعي والاقتصادي ، على مبلغ تهذيبها ، ومقدار ازدهارها في الآداب والاقتصاديات . في العائلة الحجر الاساسي الاول لسياسة الخطيب ؛ فهو يعتقد — واعتقاده في محله — ان المبادي السياسية لا ترسخ في البلاد ، والحياة القومية لا يقوم لها كيان ، الّا اذا تربّى الناس منذ الصغر على مبادئ قومية راهنة ترتبط بوحدة وطنية . ويجد الشاعر في العائلة مجالًا واسعاً للعواطف والتخيلات : ففيها يجد الطفل الذي يسترق القلوب ، والفتاة العذراء التي تعلّم السحر الحلال ، والوالد الذي تتمثل به السلطة في مهدها ، والام التي تتكوّن العواطف على صدرها ، والشيخ الذي يلقي بشيخوخته امثولة الاختبار والوقار والمهابة .

فالعائلة اذًا مجموعة الدين والادب والعواطف والآمال . فما اشهى التحدث عن العائلة اللبنانية الى شبّان لبنان اليوم ، ورجاله في الغد ، الذين سيكونون آباء عائلات البلاد !

ما اشهى التحدث عن العائلة اللبنانية اليكم يا شبان لبنان ، وآمال حياته الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية.

انما يصعب عليَّ ، وعلى غيري ، وعلى من كان اشدّ مهارة واختبارًا ، ان يوفي هذا الموضوع حقه. لان الحياة العائلية في لبنان — والذي اقصده بكلمة لبنان انما هو القسم الجبلي منه — لا ترتبط برابطة الوحدة الوطنية في حياتها الداخلية ، بل هي مرتبطة برابطة الدين . فالقومية عندنا للدين ، وبتعدد الاديان والمذاهب تتعدد العائلة في لبنان . وقد كانت الشعوب القديمة تقوم بدينها فكان تاريخ الفرد ، وتاريخ المجموع ، لا ينفصل عن تاريخ الدين . ثم اخذت تتقلّب الايام ، وتتطوّر مدنية الامم ، الى ان استقلّ تاريخ الفرد وتاريخ المجموع عن تاريخ المعتقد الديني ؛ واصبح للسياسة تاريخها ، وللاقتصاد والاجتماع والآداب تاريخها . نعم لم يخلُ الامر من بعض العلاقة الدينية ، انما هذه العلاقة لم تعد تؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية تأثيرًا جوهرياً . فهذا الانفصال سبقتنا اليه الامم الغربية من اوربة واميركية ، وهو ظاهر في تاريخها ، خصوصاً في الازمنة الحديثة.

اما شعوبنا الشرقية فقد كانت الى عهد قريب شعوب تقاليد لا تتحوّل عنها بالهيّن . ومن هذه التقاليد العادات التي كانت ولم تزل تحجب العائلة ، في الطبقة العالية من الشعوب الغير المسيحية ، عن الاختلاط بسائر الشعب . فهي مقيّدة بعوائد وتقاليد ليس من شأني سوى احترامها . انما لا شكّ بان الايام ستتكفل بتعديلها وتغييرها ، شأنها في كافة العوائد والاقطار والاقوام.

قلت ان الحجاب منع عائلات الطبقة العالية من ابناء تلك الطوائف عن الاختلاط . اما ابناء الشعب ، اي عامة سكان القرى والفلاحين ، فلا يختلفون ولا تختلف عائلاتهم بعوائدها عن عائلات المسيحيين.

لهذا فان كلامي سيتناول العائلة المسيحية في جبل لبنان (وفيه كثير مما ينطبق تمام الانطباق على العائلة السنية او الدرزية من عامة الشعب) فابيّن باسهاب كيف كانت قبل النصف الاول من القرن السابق ، واوجز فيما صارت اليه بعد ذلك.

قلت ان الدين في الشرق يمتزج مع القومية ، فالذي يدافع عن قوميته يدافع عن دينه ، وكذلك العكس . الرجل مفطور على الدين والدفاع عن الدين ، والدفاع عن القومية ، والدفاع عن الحياة ؛ وعلى حب الحياة فُطر ، وفطرته هذه اعرق من فطرته على حب الدين ، حتى لقد نجد من لا يدين ، او من يرفض أن يجاري عاطفة الدين الكامنة في قلبه ؛ انما لا نجد من لا يحب الحياة ولا يستميت في سبيل المحافظة عليها . ولا غرو فالحياة تفتدى بالحياة ! لذلك لَمّا اشتدّ الاضطهاد على المسيحي في السهول الخصيبة ، ترك الارض التي تدرّ لبناً وعسلاً ، وفرّ بتقاليده يحملها في اخلاقه وعاداته الى حيث لا يزاحمه الّا النسر والاسد ، الى مغاور الجبل وكهوفه ، الى صخور لبنان المتينة ، الى غاباته الكثيفة . فاعتصم بها يذود عما ورثه عن الآباء والجدود من تقاليد دينية هي عقائد موحاة واوضاع كنسية تتعلّق بها ولا تنفصم عنها . وقد كان لها عنده ، وهو يرتع في بحبوحة الارض المخصبة من حلب الى دمشق ، منزلة عالية وقيمة غالية . فكيف به ، وقد خسر لاجل المحافظة عليها الحياة الغنية وبسطة العيش وسعة الرزق وسكينة الحياة بين الناس ! لقد صار لها في عينيه قيمة مضاعفة ، وما كان يفديه في مدى العمر بحياته ، اصبح يفديه كل ساعة بحياته . فصار عيشه استشهاداً دائماً ، وموتاً متواصلاً ، وصار لديه حلواً وشهياً لذيذاً .

وكأني باللبناني ، جدّنا الاول ، وقد هُوجم في ماله ودينه ، في عاداته وتقاليده ، في اعزّ ما لديه في الحياة . فترك العزيز من حطام الدنيا ، وتمسك بالاعز مما لا يفنى في هذه الفانية ، بل يبقى خالداً لكونه على صلة بالسماء . ونجا بنفسه الى كهوف لبنان واوديته ، فعقد مع صخور هذه الجبال الشمّاء عهداً على ان يكون في تقاليده الادبية والدينية ثابتاً راسخاً مثلها ، يردّد عليها كلمة لها صداها في عالم الحكمة والبطولة : « الارض المخصبة التي تركتها كانت تتقلب بين القحط والخصب ، فلا تثبت على حال ولا هي كانت مطابقة لثباتي في معتقدي وفي تقاليدي المقدسة . لذلك لم ارَ بدّاً من الاعتصام بكِ ، ايتها الصخور ، لاني اجد وجهاً للشبه بين رسوخك في هذه الاطواد الثابتة وبين الحقائق الابدية التي اتمسك بها واعيش لها ، واموت في سبيلها . »

وتعاقبت الايام وتوالت الاعوام ، فاذا باولئك اللاجئين الى صخور لبنان محافظةً على دينهم واستقلالهم ، وقد صاروا عائلات على روابيه وفي اوديته وعند سفوحه . ثم صاروا مزارع وقرى وقصبات . ثم صاروا مدناً . ثم صاروا امةً لها تاريخها ومجدها . فاضافوا الى تقاليدهم الماضية تقليداً جديداً وهو انهم ارتضوا بشظف العيش ، وعيشة المشقة ، وموت الحياة الدنيا ، لاجل سلامة تقاليدهم المسيحية . فكان كل واحد منهم بالتجائه الى لبنان يعيش على اطواده وفي بطون اوديته ، يكتفي بقناعته ويفاخر بوعورة مسالكه ، كالجندي اللاجئ الى حصن حصين يفرح به لانه حماه وحمى ولده من عوادي الايام.

فمن تكلفه تقاليده الدينية ما كلّفت اللبناني المسيحي ، لا يُستغرب منه شدة حرصه عليها وعنايته بها ، بل يُستغرب منه ان لا يكون كذلك !

* * *

كان الرجل رأس المرأة في العائلة ، ومن ثمّ رأس العائلة كلها ، وفقاً لما نصّت التعاليم الدينية . وكان الرجل يعتبر المرأة عضواً من اعضائه ويكرّمها كما يكرّم ذاته ، ولا يستطيع ان يفرقها عن ذاته ؛ لانه كان راسخاً عنده راهناً لديه انها منه ، وانها كلها له ، كما هو كله لها.

هـذا كان شأن الرجل في العائلة القروية الوضيعة ، وفي العائلة الحاكمة ، وفي العائلة الوجيهة ، لا فرق في ذلك بين الشيخ والوجيه والفلاح . وتلك السلطة في العائلة كان لها صداها في المجتمع المدني ؛ فكانت سلطة الشيخ حاكم القرية او المقاطعة سلطة الوالد في عائلته ، فكان الجميع يهابونه ويحترمونه ويأتمرون بامره . وكانت هذه السلطة اكبر واعمّ في الكنيسة وخدمتها اذ كان الكاهن في الرعية الحكم المطلق اليه يرجع الشعب في الامور كلها ، وسلطته لا اعتراض عليها ولا مردّ لها . وكان اعتقاد القوم في صدق الكاهن عظيماً ، حتى ان غاية التأكيد كان القول بان « ذلك الخبر سمعته من فم كاهن . »

وكذلك كانت حالة المنطقة او المقاطعة تجاه الامير حاكم البلاد . فقد كانت

البلاد عائلةً كبيرة تأتمر بأمر الامير ، وتلتفّ حواليه ، وتقدّس اشارته ، ولا تنتقض عليه من ذاتها مطلقاً.

وكان لالتفاف العائلة حول رأسها صورة في اجتماع العائلات حول حاكمها في القرية الواحدة. فانك ترى القرى القديمة مبنية رصفاً ، البيت لصق البيت ، وجميع البيوت ملتفة حول دار الشيخ او دار الحاكم او دار الوجيه.

ولم تكن العائلة ، بمجموعها ولا بافرادها ، ترى في وجوب الخضوع للحاكم او في اعتبار وجيه القرية الاعتبار العميق الحقيقي والانقياد له ، امراً غريباً ؛ لانها الفت تلك المعيشة في حضن العائلة منذ تنفتح عين الواحد منها على النور.

هذه ميّزة من ميزات العائلة الجبلية في الماضي. وكان لها ميزات اخرى عديدة تشترك فيها عائلات سائر طبقات الامة . ومن تلك الميزات العمومية المشتركة قناعة كل عائلة ، وكل فرد منها ، بالمركز الاجتماعي الذي يشغله فلا تطمح نفسه الى غيره ، بل الى تحسينه. كانت هذه القناعة في الزواج ، وفي المعاملات، وفي انواع الاكل واللباس الى حدّ انه لم يكن يخطر في بال القروي ، لو وجد كنزاً وصار غنياً ، ان يغير نوع معيشته في داخل بيته ، ولا ان يطمح بانظاره الى العائلات الكريمة العريقة في القدم ، ليصاهرها ، او يقتدي بها في انواع المعيشة العائلية والاجتماعية ، الّا في النادر الشاذّ الذي لا يقاس عليه.

وكان من عادات العائلات وتقاليدها الاجتماعية ، عريقة كانت ام قروية وضيعة ، ان الشاب لا يسعى بنفسه بالزواج ، ولا الفتاة لذاتها. بل كان قياد امور الشاب والفتاة بامر الزواج في يد الوالدين وكبار العائلة . فكانوا يعقدون مجلساً ويتشاورون في امر زواج ابنهم عند بلوغه السن الموافق.

واذا حدث ان احد الشبان «الاجانب» عن العائلة ، اي الذين لم تسبق العادة بمصاهرة عائلتهم ، طلب يد فتاة منها. فكان «الاختيارية» يستشيرون ابا. شبان العائلة فيما اذا كانوا يمتنعون عن خطب تلك الفتاة لاحد ابنائهم ، حتى لا تتغرّب الابنة. ومتى امتنعت العائلة زُوّجت الفتاة الى الخارج.

فكان الشاب يتكل في زواجه على عقل والديه وكبار عائلته المحافظين على التقاليد والعادات ، اكثر من اتكاله على عواطف الشباب التي قد يكون

مصدرها الحسن الخارجي والمعرفة السطحية . نعم انه كان في هـذه الطريقة للزواج نواقص . ولكن الزواج كان سعيدًا ، لان رأس العائلة وكبارها كانوا يحكمون في اختيارهم العقل والاختبار ، وينظرون الى امكان اتفاق اخلاق الشاب مع اخلاق الفتاة ، وغير ذلك من الامور التي يكونون خبروها ، ولا قبل للشاب والشابة ان يعرفاها قبل ان يجوز بهما العمر الطويل . فكان اذا طلب شاب الى والده ان يخطب له فتاة «استروقها» ولم تحسن في عيني الوالد ، اجابه هذا: «طب الجرة عاتمها تطلع البنت متل امها» يشير بذلك الى عدم موافقة هذه الفتاة ، وانه عرف في امها اخلاقاً لا تتفق مع اخلاق العائلة.

لذلك كان الزواج مقدساً محترماً قلّ ما يقع فيه اختلاف ، او يحدث خصام ودعاوى. وكانت تظلّ عائلات البنين عائشة مع عائلة الاب دون نزاع ، لانه لم يكن يخطر على بال الوالدين وكبار العائلة ان يزوّجوا ابنة بشاب يختلفان تمام الاختلاف في العمر والعوائد والاخلاق والتربية ، ولا ان يزوّجوا ربيبة البيوت الكريمة بحديث النعمة.

فكانت تزف ابنة الشيخ الى ابن الشيخ ، وابنة الفلّاح الى ابن الفلّاح . وعندما تنتقل الابنة من بيت ابيها الى بيت زوجها لا تحسب في ذلك فرقاً بيّناً بين معيشتها في البيتين ، فتظلّ الالفة ممتلكة على القلوب والعقول.

ومن ميزات عائلة الجبل ان الشاب ما كان يُترك بدون زواج بعد بلوغه سن العشرين ، وكذلك الفتاة. ولهذا لم تكن تفسد اخلاق الشاب ، ولا يمس في دينه وآدابه. وقلما كان يتعلق زواجه على المال ، فكان الشاب يتزوّج بين العشرين والخامسة والعشرين بمن هي تقاربه سناً . ويقيم معها في بيت واحد ، مع والديه واخوته واخواته ، الى ان يرزقه الله بنين وبنات ، والوئام يظلّ سائدًا على تلك العائلة اية سيادة.

نحن لا نتمنى ان يعود الماضي جميعه الينا ، ولا ان نعود الى جميع ما كان فيه. فاننا مسرورون برقينا العصري ، وانما لسنا لنرضى عن جميع ما في هذا العصر ، ولسنا لننسى ما كان يزين عائلتنا اللبنانية من المحاسن والمفاخر التي فقدت كثيرًا منها دون ان نستعيض عنها بالافضل. (للبحث صلة)

الغرائب النفسية

بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة

بحث انتقادي فلسفي

للاب شرل ايلا اليسوعي

٢

تعليل ما يروى عن مناجاة الارواح

الاسباب الخارجة عن الطبيعة

واذا كان في اعمال السپيريتسم ما لا يستطاع تعليله طبيعياً فلا بدّ ، كما بيّن الابوان مونجان ومنى (١) ، من نسبته الى الارواح ولكن ليس الى ارواح الاموات ، على ما يزعم اهل الروحانية الزائفة ، بل الى الارواح الشريرة ، اي الابالسة والشياطين.

اجل لا نكير انَّ في استطاعة الارواح ان يناجوا الاحياء بسماح من الله. وفي تاريخ الكنيسة ، وسير القديسين ، ادلة واقعية راهنة تثبت هذه الحقيقة. ولكن شتّان ما بين الثريا والثرى ، وشتّان ما بين الوقائع هذه وتلك التي ينسبها اهل السپيريتسم الى ارواحهم الموهومة . ولا يقبل العقل ان يترك الله ارواح الموتى ، بارّةً كانت ام هالكة ، العوبةً في ايدي البشر ، يُصعدونها أنّى شاؤوا ، بطرق صبيانية بل بعض الاحيان خلاعية ، ويلقون عليها اسئلة باطلة فضولية ، فتجيبهم غالباً بما نجلّ اسخفَ العقول من الاحياء ان يظنه او يفوه به . فقد زعم الوسطاء انهم استحضروا اغوسطينوس ، وجان درك ، وغليليو وغيرهم ممن امسوا ، بالخرافات التي يعزوها اليهم مناجو ارواحهم ، بلهاً حمقاً ، بعد ان كانوا طيلة حياتهم على الارض زينة البشرية وفخرها برزانتهم وحكمتهم وعبقريّتهم . ولقد صدق الدكتور ستانلي هول ، رئيس جامعة

---

١) ص ٢٩٠ و ٣٥٥ – ٣٥٨

كلارك اذ قال[1] : «ان تبشير السر اوليفر لودج بمذهب مناجاة الارواح احتقار للعلم (*affront to science*) » وان حياة الارواح حسبما ادعاه «تشبه حياة ضعاف العقول في البيمارستان.»

كذلك لا ينبغي ان ندخّل الابالسة في كل امر. بل لا مشاحة ان تدخلهم فيما بين البشر ، على سبيل خارج عن النواميس الطبيعية ، قد خفّ وندر منذ مجيء الربّ المخلّص. ولكن ايّ صعوبة في ان يسمح الله لاسباب له ان يعرفها ويستصوبها ، بان يأتوا اعمالًا تعجز عنها الطبيعة المنظورة ؟

هذا ما تُثبته ، فضلًا عن الايمان ، «الطريقة التجريبية» عينها التي لها الشأن الخطير لدى «المقتطف» حتى تكاد تكون قاعدة معتقد اصحابه الوحيدة[2]. فان كان الانجيل الطاهر سفرًا متزلًا ، يجب علينا ان نؤمن بمضمونه لانه وحيٌ من الحقّ سبحانه وتعالى ، فهو ايضاً ، حتى في نظر العقل المجرَّد ، تاريخ صادق ، قلّما شهد النقد التاريخي النزيه لغيره بما شهد له[3] . فان ثبت ما جاء فيه ثبت ايضاً وجود الشياطين ومزاولتهم اعمالًا تخرج عن نواميس الطبيعة المنظورة . ولا سبيل الى انكار ذلك الّا على وجه من اثنين . فإما تُنفى تاريخية الانجيل واذ ذاك قل السلام على «الطريقة التجريبية» التي ليس النقد التاريخي سوى فرع منها . واما تُقرّ تاريخية الانجيل وتُنكر صحة ما جاء فيه من الحوادث الخارقة الطبيعة لأنها خارقة الطبيعة ، فهي اذًا محالة . فلا يبقى عندئذٍ مجالٌ للشكّ انّ «النظر المحض المبني على الحدس» ، الذي يُعيّر به الدكتور صرّوف (ص ١١٥) ذوي الروحانية الحقة وذوي الايمان ، يتغلّب ايضاً على ذوي «الطريقة التجريبية» فيهدم ما بناه الاختبار والامتحان.

ومن الغريب ان الدكتور صروف لم ينتقِ (ص ٢١٠) في الكتاب المقدس سوى مثل عرّافة عين دور[4] ، الذي فيه من الغموض ما لا يخفى. ولو

١) ذُكر في «رسائل الارواح» ص ١٥٧ ٢) راجع مقدمة رسائل الارواح ص ٦
٣) راجع ابحاث المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي في الانجيل الشريف – المشرق (١٤ [١٩١١] ٢٤١ ، ٣٢٢ ، ٤١٣ ، ٥٩٤ ، ٦٩٣ ، ٨٢٩ ، ٩١٠)
٤) سفر الملوك الاول : ٢٨

طالع ، لا اقول في الاصل ، ولكن لدى احد الثقات من المفسرين الحديثين ، اراء الآباء والشارحين واللاهوتيين في هذا الموضع الكتابي[1] ، لما ارسل جزافاً قوله (ص ٢١١): «ان اقلّ المفسرين ميلاً الى التأويل قالوا ان ظهور صموئيل كان باعجوبة خصوصية» بل تحقق ان فريقاً منهم ينسب ظهوره الى خدعة او الخداع من العرّافة.

الطريقة الاختبارية العقلية — الروحانية الحقة

يلوم الدكتور صرّوف (ص ٨٤) انصار السپيريتسم على ادعائهم ان ظهور الارواح ومناجاتها من الادلّة القاطعة على خلود النفس ووجود عالم الارواح، وعلى اتهامهم من يخالفهم بانه منكر لوجود النفس جاحد للحقائق الدينية.

ولقد اصاب في اللوم. فسيان للروحانيَّة الحقة ، صحّت مناجاة الارواح ام كذبت . فان صحّت جاءت تؤيد نتائج الفلسفة الحقة ، وتصريحات الايمان الكاثوليكي وكل الاديان في وجود روح الانسان وخلودها . وان كذبت فالروحانية بغنىً عنها بما يدعمها ، ليس من شواهد الوحي فحسب ، بل من الادلّة العقلية الراهنة القاطعة . فان كان هذا فعلامَ يشكّ صاحب «رسائل الارواح» بروحانية النفس وبخلودها ، على قدر ما يشكّ بترهات اهل السپيريتسم ، إلّم نقل اكثر ؟ يُقرّ ، رحمه الله بخطورة الموضوع اذ يقول (ص ١٥٥) :

« انه من اهم المواضيع . وهل من موضوع اهم من موضوع نفس الانسان وما يحلّ بها بعد الموت ؟ ».

وايضاً (ص ١٨٠):

لمّا اعلنت السينتفك اميركان انها تعطي ٢٥٠٠ ريال للوسيط الذي يُثبت ثبوتاً ينفي كل ريب انه يستحضر روحاً من ارواح الموتى . . . . تلقّينا ذلك بالمسرّة لانه اذا استطاع احد ان يُثبتَ ذلك انجلت مسألة من اغمض المسائل.»

وكأني بالكاتب المرحوم ، بازاء هذه المسألة لايقف وقفة الناظر غير المكترث بل يردّد صدى قول الربّ في الانجيل (متى ١٦:٢٦) : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ام ماذا يُعطي الانسان فداء عن نفسه ؟ » فيضطرب

١) راجع (Hummelauer, *Commentarius in Libros Samuelis*, Parisiis, Lethielleux, p. 242 - 253)

ويتوجس خوفاً ، ولاسيا عند شعوره بدنو الاجل المحتوم ويبحث بلهفة شديدة عما عسى يكون مآله النهائي ، اذ يقول (ص ١١٩) :

« اين تذهب بعد ما نموت ? او ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولد وتنمو ثم تموت وتنحلّ وترجع عناصرها الى الارض ? . . . هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة . فما من احد بلغ الخمسين او الستين الّا وقف واستوقف وقال : الى اين نحن مسوقون ? . . . وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد ? »

وايضاً (ص ٢١٠) :

« ان البحث عمّا وراء الحياة الدنيا ممّا تميل اليه النفس ولا سيا اذا لاح بياض الشيب في اللمم وقاربت شمس الحياة الى المغيب . »

ومن هذا كله ومن اغلب ما ورد في « رسائل الارواح » يتضح ان المثنى المرحوم ، ان كان له بعض الامل في الحياة بعد الموت ، فهو يعلّقه على نتيجة البحث في مناجاة الارواح . وذلك بالرغم من انكاره لصحتها ، قلّما يكون نوعاً ، وبالرغم من لومه اتباعها على نسبة الكفر الى اعدائها ، كما مرّ بك .

اما تأكيدات الفلسفة الصادقة عن روحانية نفس الانسان فكأنه لا يحفل بها البتة . قال نقلاً عن مجلة السينتفك اميركان (ص ٢٢٦) :

ان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلاً او آجلاً لكنهم يجهلون كل الجهل (!) مصيرهم بعده . . . فالحياة والموت لا يزالان سرّاً من الاسرار ولغزاً من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق . »!!!

وقال من ذاته (ص ١٨٠) :

« مسألة (الروحانية والخلود) يُسَلِّم بها كثيرون بطريق الايمان والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان ولا ينكرها غيرهم ولكنهم يرتابون في صحتها او يقولون لا ندري وهؤلاء المرتابون واللاادريون قد يكونون من اعقل الناس وافضلهم(١ . والمنكرون قد يكونون ايضاً من العلماء الذين لا شبهة في انّ انكارهم لم يتم لأنهم اباحيون(٢ بل لانّ عقولهم لا تستطيع ان تتصوّر وجود غير المادة وخواصها ، ومن هذه الخواص الحياة والشعور والتعقل(٣ بين انّ كثيرين من الذين يعترفون بوجود ارواح الموتى والثواب والعقاب هم من افسد الناس سيرةً (٤ وسريرة (٥ . »

١) وهل فضلهم يقوم بارتيابهم ولا أدريتهم ? ٢) وهل عدم اباحيتهم عائد الى انكارهم ?

٣) قابل هذا النصّ بما يليه في المتن منقولاً عن « رسائل الارواح » (ص ٩٨) . فيتجلى لك ان موضوع العلم في نظر الدكتور صروف هو ما يدرك بالحواس ليس الّا . تُرى اي انسان رأى او سمع او لمس او شمّ او ذاق او تصوَّر يوماً بمخيلته « الحياة والشعور

ترى ما عسى يكون سبب ارتياب الدكتور صرّوف في الروحانية من حيث هي نتيجة الفلسفة النفسية العقلية ? فهل يكون موافقة الدين الموصى عليها ? والحقّ يقال ان الدين والفلسفة المذكورة يمزجهما الكاتب الفاضل الى حد ان يتوهم انهما شيء واحد لا يتميز احدهما عن الآخر. من ذلك قوله (ص٩٨):

« اذا كان ذلك من الحقائق المقرَّرة (اي اذا صحّت مناجاة الارواح) فهو من اهم الامور لانه يُخرج اعتقادنا ببقاء النفوس من حيز الايمان بما لا يُدرَك بالحواسّ الى حيز العلم بما يُدرَك بها . »

وعلى كل حال فهل فاته انَّ فريقاً لا يُستهان به من اهل السپيريتسم قد حوّلوا فلسفتهم الروحانية الى دين موحى به من الارواح . او لعله يُؤثر ترّهاتها على وحي الله عزّ وجلّ ?

أم يرتابُ في الروحانية الصادقة لانه يتوهم ان انصارها ليسوا من العلماء الاحقاء ? على اننا نجله عن ان يحتقر ، لا نقول علم ارسطو والأكويني وغليليو وباكون، بل علم باسكال وديكرت ولايبنيتز وبوصويت وباستور ونيوتن الخ . فانهم ، والكثيرين من امثالهم وعلى معتقدهم ، يجارون اشهر « مشاهير العلماء » الذين شُحنت « رسائل الارواح » باقاويلهم .

وعندي ان اهم الاسباب لارتياب الدكتور صرّوف هو كرهه لما وراء الطبيعة فالظاهر انه من اللاأدريين الوضعيين (*Positivistes agnostiques*) الذين لا يعتقدون الّا بما يقع تحت الحواسّ او المجهر . وقد ذكرنا له فيما سبق ما يؤيّد زعمنا هذا حيث قال : اذا ثبت السپيريتسم بالبرهان « خرج اعتقادنا ببقاء والتعقل » ? لعمري اننا ندرك مفاعيلها فينا بضميرنا ، وفي غيرنا بحواسّنا . امّا ذات الحياة والشعور والتعقل وكنهها فلا يدركها الّا عقلنا الروحي مستعيناً بمدركات الضمير المباشر والحواس . وكذا قل عن ادراك كل ما هو مجرَّد عن المادة ، ان بذاته كالله عزّ وجلّ والروح ، وان بفعل العقل كالبياض والحرارة . فباني بحواسي ادرك الابيض والحارّ ، وبعقلي المجرّد البياض والحرارة .

٤) ليس فساد سيرتهم نتيجة اعترافهم بالروحانية والخلود . — غريب كيف فات المثنى الحذق ان الانسان ، بما انه حرّ ، قد لا ينطبق سيره على عمله وانّ حرّية الاختيار ، وهي من اوضح الادلة على روحانية النفس ، لا تُتقيَّد بقواعد المنطق .

٥) وهل السريرة هي من مدركات الحواس ايضاً ? فكيف يُحكم في امرها ، بدون تعليل العقل الروحي لظواهرها ?

النفوس من حيز الايمان بما لا يُدرك بالحواسّ الى حيز العلم بما يدرك بها وجُعل حقيقة علمية.» ولا عجب فقد قال (ص ١١٥) :

«لقد كان البحث في النفس وما وراء الطبيعة نظرياً محضاً مبنياً على الحدس او على ما قال به اصحاب الاديان ومطـوها. اما الآن (والحمدُ لله على هذه المنة الجديدة !) فاخذت طائفة من العلماء والفلاسفة تبحث في الامور النفسية بحثاً علمياً محضاً مبنياً على التجربة والامتحان».

وايضاً (ص ٢١٠) :

«اهمل علماء الطبيعة البحث عما وراء الطبيعة لانهم لم يجدوا فيما عرفوه من نواميس المادة ما يدلّ عليه. ولا يُلامون كما لا يلام الباحث في العلوم اللغوية اذا لم يجد فيها شيئاً يدلُّ على خلود النفس ولا الباحث في العلوم القضائية اذا لم يجد فيها شيئاً يدل على وظائف الكبد والطحال.»

ترى هل امعن الدكتور صروف النظر قليلاً في علم مـا وراء الطبيعة ومضمونه قبلما سطر قلمه كل ما ذكرنا له ؟ اجل ليس للغوي ان يبحث مثلاً في المنطق ولكن ليس له ايضاً ان يجهل قواعده فـلا يطبقها على ما يكتشفه. وليس للقاضي ولا للطبيعي ولا للاختباري النفساني ان يبحثوا في مجملات ما وراء الطبيعة، ولا من شانهم ان يحدّدوا ويقسّموا العلل ويبسطوا ماهيتها وخواصّها العامة وما يُبنى على معرفتها من المبادئ. ولكن هل لهم ان يجهلوا هذه العلل او ان ينكروا مثلاً مبدأ السبب الكافي (*le principe de raison suffisante*) او مبدأ العلة (*le principe de causalité*). وهل من قوام لعلم، ايّاً كان، بدون هذين المبدأين وغيرهما كثير مما يبحث عنه علم ما وراء الطبيعة الذي هو علم الكائن بالاجمال (*Ontologie*) ؟ وهل يمكن القاضي ان يحكم في دعوى دون ان يطبق على وقائعها ما يعده به هذا العلم من المبادئ المتعلقة بالعلل ؟ ام كان يستطيع متشيء المقتطف، بمعزل عن هذه المبادئ، ان يُعلّل المرويّات عن مناجاة الارواح ؟ وان كان يطبق مبادئ كهذه فكيف يستطيع الى ذلك سبيلاً دون ان يميز علّة المعلول من الحادث الذي انما يسبقه لا يسبّبهُ ؟ وكيف يميزها اذا كان لا يدرك تأثيرها في المعلول ؟ وهل التأثير هذا مما يرى بالعين او يسمع بالاذن او يقع تحت الحواس اية كانت ؟ فلا يبقى الا واحدة من اثنتين : اما ان العلم، ايّاً كان، يضحي محالاً ما لم يستمد قواعده الاولى من علم ما وراء الطبيعة كما ومن المنطق، واما ان العلم لا يقوم بمدركات الحواس وحدها.

ثم اين رأي الدكتور صروف انَّ المعتقدين بروحانية النفس وخلودها قد اقتصروا في ابحاثهم على النظر المحض والحدس ولم يلتفتوا الى الامتحان والتجربة ؟ لا حاجة ان نعيد هنا الحجج الراهنة التي تستند اليها هاتان الحقيقتان. وكلها يُطبَّق بها مبدأ السبب الكافي على ما يتناوله العقل من مدركات الحواس والضمير. من ذلك ان رأيت ذاتك مندفعاً شديداً الى التمتع بخير حسي، وقفتَ النفسَ وابعدتها عنه وحرمتها منه، افليس هذا مما يدل صريحاً ان فيك قوةً هي ارفع ماهيةً من القابلية المادية الحيوانية، وبمعزلٍ عنها ؟ فان القابلية المذكورة ليس فقط لا تكفي لردعك عن الخير الحسي، بل بالعكس تدفعك اليه بكل ما فيها من القوة، لما تجد فيه من الملاءمة لطبعها.

وكذا ايضاً ليس من علةٍ كافية لادراكنا المجرَّدات والكليات والروحيات سوى وجود قوَّة، مستقلة عن المادة وارفع منها، في كل منّا، وهي النفس الروحية المزدانة بالعقل الروحي.

وقصارى القول أن اعتماد الروحانية الصادقة ليس على الحدس او النظر وحده بل على النظر وعلى الاختبار معاً. وطريقتها هذه تدعى الطريقة الاختبارية العقلية، وفرع الفلسفة الذي يسير عليها يُدعى الفلسفة النفسية العقلية (*Psychologie rationnelle*).

وعلى الطريقة عينها مبني حديث الدكتور فُزدِكْ « فيما بعد الموت » الذي خُتم به (ص ٢٣١ — ٢٣٦) كتاب « رسائل الارواح » وفيه من البراهين اللامعة ما لا يُبقي، حتى في نظر العقل المجرَّد وبمعزل عن الايمان، ادنى ريب في وجود الاله، خالق الاكوان ومنظمها، وروحانية النفس وخلودها. وعندي ان المقال هذا هو امتن ما ورد في المؤلَّف الذي وصفناه.

على ان الدكتور فُزدِكْ هو، على ما ذكر المثنى المرحوم، « واعظ مشهور.» فهو اذن من رجال الدين وذوي الايمان. وقد لا تترك مزيته هذه، في نظر « العلم المحض المبنيّ على التجربة والامتحان »، مسوّغاً لبراهينه، مهما كانت متينة ... افلا ترى ان استعداداً كهذا، عند البعض من ذوي العلم المذكور، ضربٌ جديد من الغرائب النفسية ؟

دير سيدة طاميش

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

١

تأسيسه

هو من الاديار القديمة الشهيرة في رهبانيتنا اللبنانية المارونية . أسسه سنة ١٦٧٠ ، رئيس اساقفة حلب ، المطران جبرائيل ابن المطران يوسف البلوزاني ، في عهد البطريرك اسطفانوس الدويهي ، وبعناية الشيخ ابو نوفل الخازن واولاده ، والقسّ عطا الله وتلميذه من غزير ، على ما ورد في كتابة وُضعت فوق إحدى نوافذ الكنيسة ، وجعلهُ المطران جبرائيل كرسياً لهُ ، وأسكن فيه رهباناً وراهبات من العبّاد . ولمّا ثقلت عليه عوارض الشيخوخة ، ونزلت به الامراض ، وعجز عن القيام بمهامّ الاسقفية ، تنازل عنها عن ارتياح ورضى . فاجمعت آراء السادة الاساقفة على القسّ جبرائيل فرحات الحلبيّ ، فرفعهُ الى الدرجة الاسقفية البطريرك يعقوب عوّاد ودعاهُ باسم جرمانوس في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥ .

ولمّا رأى السيد فرحات دير طاميش قد أشرف على الخراب لسوء تدبير سكّانه ، وبلغت ديونه ستة آلاف غرش ، نقل الراهبات المقيمات فيه الى دير مار يوحنا ذكريت ، وسلّمه لرهبانيته اللبنانية في عهد رئاسة الاب مخائيل اسكندر الاهدنيّ العامة ، سنة ١٧٢٧ لتفي ديونه ، وتُعنى في عماره ، وتحتضنه من الخراب . وصدّق على صك التسليم البطريرك يعقوب عوّاد ، والامير حيدر شهاب حاكم البلاد ، وعبد اللطيف افندي قاضي الشرع الاسلامي ، ومشايخ بيت ابي ناصيف الخازن حكّام المقاطعة . والسيد فرحات عيّن كرسيّه مدينة

حلب . وكانت تبلغ قيمة املاك الدير التي تسلّمتها الرهبانية في ذلك العصر اربعمائة غرش ، فانفقت على عماره وايفاء ديونه ٢١,٥٥٢ غرشاً[١]

وفي سنة ١٧٢٠ ، عُيّن هذا الدير مركزاً للرئاسة العامة ؛ وظلّ الرؤساء العامون يقيمون فيه الى سنة ١٩١٣ ، فانتقل منه قدس الاب المفضال اغناطيوس داغر التنّوري ، الرئيس العام الحالي ، الى دير سيدة المعونات — جبيل — مركز الرئاسة العامة الجديد .

وفي سنة ١٨٠٧ ، بنى كنيسته على هندستها وهيئتها الحاضرة الرئيس العام الاب سمعان الخازن وقد حُفرت فوق عتبة بابها هذه الابيات :

زها طاميش لمّا فيه جدّت كنيسةُ مريمٍ ذات الهدايه
أعاد بناءها سمعانُ أبٌ نبيلٌ ناشرٌ للفضل رايه
رئيسٌ عامٌ شهمٌ خازنيٌّ همامٌ ساد في حسن الرعايه
تأمّل في جمال سنا بناها ترى التجديد فاق على البدايه
أتى تاريخها في عام سبعٍ والفٍ قُدّرت بثمان مايه

١٨٠٧

وفي سنة ١٨٩١ ، سقط المشى الشمالي من هذا الدير ، فجُدّد بناؤه من ثمن مبيع بعض املاكه برئاسة الاب مبارك المتيني العامة .

وقد حلّت به نكبة العساكر المصرية سنة ١٨٤٠ ، فالحقت فيه ضرراً عظيماً ، فحُرق ونُهب وبلغت خسارته ٦١,٣٤٠ غرشاً ، بموجب لائحة صدّق عليها قنصل فرنسة في بيروت بذلك العهد[٢]

آثاره

ومن الآثار القديمة المصونة فيه :

١ً صورة شرقية جميلة خاشعة للسيدة العذراء تحمل على ذراعيها الطفل يسوع ، رُسمت باليد على الخشب وكُتبت في اسفلها هذه الكلمة باحرف كرشونية وهي :

« وقف الحقير مخايل مطران دمشق سنة ١٦٠٢ »

---

١) طالع تاريخ الرهبانية ، المجلّد الاول صفحة ١٣٠ — ١٣٩

٢) طالع كتاب حروب ابراهيم باشا المصري في سوريا لحضرة الخوري بولس قرألي صاحب المجلة السورية الغرّاء .

٢ ً حلقة من نحاس كبيرة نُقش عليها بالحرف السرياني الكرشوني ما نصهُ:
« ذكرًا مؤبدًا ووقفًا مخلّدًا من الفقير في روساء الكهنة المطران جبرايل لديره المشيّد على اسم ستّنا مريم على راس طاميش سنة ١٦٧٥ بمدينة حلب في شهر ايار ».

رؤساؤه والمبذولون فيه

وقد تعاقب على رئاسة دير طاميش خمسة واربعون رئيساً : اولهم الاب عبدالله حبقوق ، رأسه سنة ١٧٣٣ ؛ والاب لوقا اليموني سنة ١٧٣٦ ، والاب شربل مدلج من قيتوله سنة ١٧٦٣ الذي رُقي الى الرئاسة العامة سنة ١٧٨٤[1] ؛ والاب مرقس الكفاعي الرئيس العام سنة ١٧٥٩ . وقد ابتدأ ولبس الاسكيم الرهباني فيه نحو من مائتين وثمانية وثمانين راهباً : اولهم الاخ الياس الرشاوي، ابتدأ في ٨ ايلول سنة ١٧٣٩ ، والاخ عبد الاحد صليبا من زوق مكايل . وقد اشتهر بعضهم بالتقوى والفضيلة والعلم ، ورقوا الى الدرجات العالية ، وخدموا الطائفة والرهبانية خدمات جلّى نذكرها لهم بالفخر والاعجاب كالبطريرك طوبيا الخازن[2] ، والمطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت[3] . واليك ما جاء عنهُ في رزنامة دير طاميش :

« دخل التجربة الاخ اغاثون والاخ طوبيا من مطقّة الدامور في ٦ نيسان سنة ١٨١٨ . ان هذين الاخوين احدهما اغاثون قد خرج من الرهبنة بعد ان صار راهباً بل كاهناً غير انه بقي كاهناً عالمياً . أمّا طوبيا بعد ان صار راهباً وسيم كاهناً فلبث في الرهبنة مدّة طويلة متسلماً بعض تدابير يقتدي لها فطنة . ثمَّ استخدمهُ البطريرك يوسف حبيش مدة ثم سامهُ اسقفاً . ثمَّ لمّا توفي المرحوم المطران بطرس كرم مطران بيروت قد تولى الرعية المرقومة كما هو الآن وهو ممن يليق لهُ المدح كونه ذا غيرة كلية وقد اغنى كرسي اسقفيتهِ لا بل هو الذي عمّر الكرسي ورتّب جملة ترتيبات جميلة وهو من طبعه ذو نباهة ومعرفة جيّدة وشجاعة وفصاحة بليغة ».

ومن الرهبان : الاب انطونيوس الفغالي[4] مؤلف كتاب « ينبوع الساوان

١) لبس الاسكيم الملائكي في دير طاميش من يد رئيسه الاب روفايل موسى في ٣١ اذار سنة ١٧٦٨ ، وتوفي مدبراً فيه في ٢٩ شباط سنة ١٨٠٧

٢) هو طليع ابن الشيخ قيس الخازن ابتدأ في دير طاميش في ٨ نيسان سنة ١٧٤٦ .

٣) راجع ترجمة حياته في برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خطّار غانم .

٤) هو الياس يوسف الياس من فغال ابتدأ في ٩ كانون الاول سنة ١٨٦٥ ، ولبس الاسكيم الملائكي في ١١ تشرين الثاني في سنة ١٨٦٧ ، وتوفي بدير كفيفان .

في زيارة القربان » وارجوزة مطوّلـة في البيان وكتاب في الصرف ، والاب عمنوئيل الرشماوي الرئيس العام ، وغير هؤلاء مما لا يسعنا التبسُّط في ذكرهم

مقبرة

وفي مقبرة دير طاميش دُفن جملةٌ من الرهبان الافاضل المتوفين برائحـة التقوى والقداسة ، نكتفي بذكر واحدٍ منهم ، هو الاب عمنوئيل الجميّل الذي تولّى الرئاسـة العامّة ، واستمرّ يدير شؤون الرهبانية بروح الحكمة والفضيلة، مدة خمسة مجامع ابتداؤها سنة ١٧٧٨ . توفي هذا الاب البار في دير مار الياس الكحلونيّة ، في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨١٠ ، متزوّداً الاسرار الالهية ، ودُفن في مقبرته ، وظلّ جسده سليماً من البلى والفساد . وبسبب حـدوث حركات الدروز في تلك الجهات ، خاف الرهبان على سرقة جثمانه الطاهر ، او على التقطيع فيه ، فحملوه ليلاً الى دير سيدة طاميش ودفنوه فيه . ولا يزال ضريحه الى الآن مجهولاً . ولم يشرْ احد اليه في رزنامة طاميش ، بل اكتفى الرئيس بكتابة كلمة فيها عنه وهي :

« درج بالوفاة قدس الاب عمنوئيل جميّل رئيساً عاماً وكان انتقـالهُ في دير الكحلونية ودفن هناك في غاية تشرين اول سنة ١٨١٠ ثم نقل لدير طاميش هذا . وهـذا الاب كان ذا اهابة طبيعية وفضائـل عدَّة منها التواضع . وقد انتخب عوضهُ مجمع المدبرين قدس الاب اغناطيوس بليبل نائباً عاماً وتمم الانتخاب كونه فاز على كثيرين من سـواه » .

ولكنَّ الرئيس العام الابَ اغناطيوس بليبل كتب نبذةً موجزة عن وفاته في رزنامة دير الكحلونية ، وقّعها بامضائه وختمه ، واليك نصّها بحرفه :

« انه قد درج بالوفاة الى رحمة الله تعالى ابانا ريس عام رهبنتنا الاب عمنوئيل الجـميّل في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨١٠ بموتة صالحة مسلَّح بكافة الاسرار المقدَّسة بحضور كافة الجمهور وكان ذلك قبل المغرب بساعتين وحين مرضه استقام يوم واحد بلا قداس وقد دُفن في المشحاشة بين الرهبان المتنيحين وبعد وفاته توفي الاخ زكا بسكنتاوي(١ بعدة اشهر عد ٩ فوجدوا جسدهُ غير بالي (اي الأب الجميّل) ولا ثوبه وبعـد ذلك بسنة قد توفي الاخ جبرايل (٢ بعدَّة سنة عن الاخ زكا توفي المذكور فوجدوا الاخ زكا بالي كالاموات والسعيد الذكر ابانا وريسنا لم بالي شيء من جسمه ولا اثوابه . فقط الشعر لم لهُ وجود إلَّا براسه فلما تبلّغنا ذلك من ريس الدير(٣ ثم حضرنا الى زيارة الدير وصحبتنا حضرة الاب ماتياً المدبر

١) في آخر تموز سنة ١٨١١ ٢) من بسكنتا توفي في ٢٥ تموز سنة ١٨١٢

٣) رئيس دير الكحلونية الاب سمعان بحرصاف.

ويوم تاريخه في ٢٧ شهر ايلول سنة ١٨١٣ بعد صلاة نصف الليل توجهنا الى المشخاشة بشموع مضيئة والمبخرة وصحبتنا الاب المدبر المذكور وريس الدير الاب سمعان يومئذٍ وكافة جمهور الدير بوقته فتح المشخاشة فدخلنا فوجدنا جسد المتنيّح سالم ولم بالي من جسده شيء وعينيه واذنيه كما هم باقيين وشواربه وا كليله باقي واثوابه باقيــة نضيفة حتى قيصه والثواب الداخلة كأنها قرب لبسها لجسده وقد عملنا لهُ تابوت من خشب واوضعناه فيه تحت التسمير ورجّعناه الى المشخاشة والاخوة الذين توفوا قبلهِ والأخَين الذين توفوا بعده بالمدّات المذكورات وهم الاخ زكا والاخ جبرايل فلم عاد لهم آثار من اثوابهم ومن اجسادهم إلّا العظام كما حال الاموات وتحرَّر ذلك لأجل الاستذكار صح صح ».

الحقــــير

(الختم) اغناطيوس بليبل

اب عام لبناني

مطبعة

وقد كان في دير طاميش مطبعة عربية وسريانية خدمت الدين والعلم في اقطارنا الشرقية حقبةً من الزمن بمنشوراتها العديدة المفيدة ، ادار شؤونها مدةً طويلة الاب مرقس الاهمجي. ومن مطبوعاتها : كتاب اللاهوت الادبي للقديس ليكوري . ودحض الارطقات للمطران يوسف الدبس. وفصل الخطاب للسيد فرحات. والمثلّثات الدريّة له ايضاً . والدر المنظوم للبطريرك بولس مسعد . وحوادث الاعتراف لخريستوفورس ويغـا اليسوعي ، تعريب ابراهيم جلوان السمراني تلميذ المدرسة المارونية في رومية ، والشحيمة. والخدمة السريانية[1] الخ.

وقــد عُلّق هذان البيتان في ادارة هذه المطبعة من نظم المرحوم الاب انطونيوس الفغالي وهما :

يا داخلاً هــذا المكانَ المُشْتَهَرْ قصْداً لافراجِ الصدور من الكَدَرْ
اضبطْ يديك وكنْ عليها في حَذَرْ اذ لا يُبـاحُ لداخلٍ إلّا النظَرْ

محبسة

وفي القرب من الدير رمّة محبسة قديمة كان يسكنها الحبساء المتوحدون ، وهي مجهولة الأثر ولم يُعرف من تاريخها شيء[2] . ولمّا كان حضرة رئيس دير

١) راجع تاريخ هذه المطبعة ولائحة منشوراتها في مجلة المشرق (٤ [١٩٠١] ٤٧٢)
٢) طالع كتاب كشف الخفاء عن محابس لبنان والحبساء للمرحوم الاب ليباوس داغر

سيدة طاميش الحالي ، الاب المفضال يوسف سعاده الغوسطاوي ، ميالاً الى الوحدة والانفراد ، ومحباً للعزلة والصمت ، وهو من آباء الرهبانية المشهود لهم بالتقوى والفضيلة والمتصفين بالحكمة والفطنة ، دفعت به همّته الناهضة ورغبة قلبه الصالحة الى انشاء محبسةٍ جديدة في قرب الدير ، يُعيد فيها بساطة وجمال الحياة الانفراديّة الى رونقها وبهائها ، في تلك البقعة المنفردة المتعطّرة برائحة فضائل الرهبان الطيبة وصلواتهم الدائمة ، فاستأذن في بنائها غبطة السيد الجليل البطريرك مار الياس بطرس الحويك الكلّي الطوبى وقدس الآباتي المفضال اغناطيوس داغر التنّوري ، رئيس رهبانيتنا العام ، فأذنا لهُ عن مسرّة ورضىً بمرسومٍ من غبطته مؤرخ في ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦ ، ومن الاب العام بتاريخ ١٨ أيار من السنة المذكورة . فباشر للحال بنائها في محلٍّ يسمّى «عين قطّين» شرقي زوق الخراب ، غربي الدير ، وتبعد عنه نحو ربع ساعة ، وأذن الاب العام لراهبٍ فاضل ان يسكنها مزاولاً فيها ضروب التقشّف والإماتة التي يمارسها الحبساء ، هو الاب يعقوب ابي مارون من مزرعة الشوف . وبفضل عناية حضرة رئيس الدير ، فُرشت الاراضي حولها بغراس الكرمة والاشجار المتنوّعة الاصناف التي تحوطها من كل جانب ، وقد جعل شفيعها القديس انطونيوس الكبير اب الرهبان وكوكب البريّة . والحبيس يحيا فيها حياةً هادئة بسيطة ، منقطعاً في تلك العزلة المؤنسة ومتفرغاً عن شواغل الدنيا وهمومها وافراحها واكدارها ، عاكفاً على العبادة والصلاة والتأمل ومناجاة السيد المسيح في سر القربان الاقدس في الليل والنهار ، راضياً مسروراً بحياته هذه الجديدة ، شاكراً الله تعالى في السراء والضراء .

وهنا لا بدَّ لنا من ان نسوق كلمة شكر وثناء على همّة حضرة رئيس دير طاميش الناهضة الذي صرف عنايتهُ الى تحسين املاك الدير ، فاصبحت تدرّ ريعاً وافراً استطاع ان ينفق منهُ على بناء دير مار روكس مراح المير ، واقامة بعض بنايات لدير مار يوسف البرج أخذ الله بيدهِ ووفّقه في جميع اعماله الخيرية

(للبحث صلة)

قس بن ساعدة

ماذا نعرف عنه ؟

بقلم ميشيل سليم كميد

وافصح من قس ، واجرى من الذي
بذي الغيل ، من خفان اصبح خادرا
(اعشى قيس)

اسقف نجران ، وفيلسوف العرب ، وشاعرها ، وخطيبها ، وحليمها ، وحكيمها ، وحكمها ، تضرب بحكمته الامثال ، وتكشف به الاهوال ! صفات والقاب ضخمة نفحه بها الرواة ، واحاطوها باسمه هالة ! ولم يذكروه الّا مجللاً بالتبجيل ، مزداناً بالتكريم ، محاطاً بالتعظيم !!

الرجل

نسبه — شيء عن عمره

هو قس بن ساعدة ، بن عمرو ، بن عدي ، بن مالك ، بن ايدعان ، بن اياد ، اسقف نجران ، لا يعرف وقت مولده ، وقد زعموا انه ولد في زمن الرسل ، وانه عمّر الستمائة او السبعمائة عام . وفي هذا من الخلط شيء كثير ، تنبو عنه الاسماع ، ويلفظه الصدق ، ويأباه العقل .

وقد زعم عنه الرواة اشياء على هذا النحو ، ومع ان فيها الكثير من المبالغات ، فهي ترشدنا على الاقل ، الى تلك الحرمة التي كانت له في نفوس الاعراب ، حتى دعتهم الى تكريمه ، باختلاق الروايات عنه ، والتحدث بامثال هذه المبالغات والترهات .

والآن ، قبل ان نتبسط في مدارج الحديث عن شاعرنا ، وسرد لطائف اخباره ، ومحاسن اشعاره ، يجدر بنا ان نقف هنيهة ، ونبحث قليلاً فيما اورد له من شعر ، وما نفح به من خطب ، لعل في ذلك فائدة تجنى .

يد الانتحال في خطبه وشعره

دعنا نتساءل ، أقسّ قائل هذه الخطب التي ذكرها الرواة وتناشدها الركبان ؟ ام ان ايدي التحريف والانتحال ، امتدت اليها بسوء فعبثت بمحاسنها ، وافسدتها في بعض نواحيها ؟ امام هذا السؤال نقف ونردّد ان ليس كل ما هو موجود لدينا لقس ، ولو بعث الآن من مرقده ، لرفض الكثير منه . وظننا ان ما قاله حقيقة قد اغتالت يد العبث اكثره ، وحوّرت الباقي ، فان بعض المختلقين من الرواة ، الذين ضرب الله على عقولهم ستاراً كثيفاً مظلماً ، تلاعبوا في اشعاره وخطبه ، وزادوا وحرفوا كعادتهم . وقد بلغهم ما لقس من السمعة الطيبة الذكية ، التي كانت له في بطون بلاد العرب وافخاذها ، فاستغلوها كنزاً ثميناً ، وابتغوا الاستفادة منها ، فاختلقوا بعض خطب ، اوسعوها ذكر الله والفناء ، والنعيم والجحيم ، ونسبوها اليه ، وظلّلوها باسمه . فنحن لا نؤمن ببعض من خطب قس بل باكثر ما نعرف له ، لما نراه فيها من التكلّف ، وارتجاج الرواية ، ومحاولة التقريب بينها وبين القرآن والاصول الاسلامية ؛ ولكننا لا نجد بأساً ، اذا تعرضنا لما لدينا منها ، منسوبة له ، وسرنا بينها في حدائق الورود والاشواك ! واقتطفنا بعض ما يصادفنا في طريقنا :

قس والآخرة

تعب كلها وباطلة هي ! والموت هو الحياة !

كثير هم الشعراء الذين اتخذوا فكرة الموت خدناً ، وذكرى الآخرة رفيقاً وسميراً يؤنسهم وقت الوحدة ، ويبعث في تلك النفوس الحساسة زهداً وتقشفاً وزدلاً لحياة كلها آلام وشقاء ! كيف لا ! والموت رفيق الوجود ، ومصير الاجسام ! والآخرة مأمن النفوس ، ومصير الارواح !

الموت غاية ، والحياة اسقام ! علم هذا قس وايقن بصيرورته الى الفناء ،

فتزهد ، ونعم ما صار اليه ! وغلب عليه النسك ولزمه فتقفر وسكن البادية. ونتج عن ذلك ان تغلبت على شعره الكآبة ، ووسمت خطبه بالحض على ترك الدنيا ، والحث على اقتناء الآخرة والتزهد ، ولم يكن في اقواله باعث الى الشك ولا داعي اليه ، ولم يسلك مسلك المعري في ذلك ، بل وقف بعيداً عن الشك في الحياة والآخرة ، الذي كثيراً ما يذهب باصحابه الى التطرف ، فالكفر غالباً ، وهو شر الامور. ولكن دعواه كانت دائماً على وتيرة واحدة اي طلب الخالد ، واحتقار العالم . فمن خطبة تنسب اليه عن لسان ابي بكر ، قوله :

« ايها الناس ، اسمعوا وعوا ، واذا وعيتم فانتفعوا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وارزاق واقوات ، واباء وامهات ، واحياء واموات ، وجمع وشتات ، وآيات بعد آيات ...... ألا ان ابلغ العظات السير في الفلوات ، والنظر الى محل الاموات ، ان في السماء لخبرا ، وان في الارض لعبرا ! »

ثم يختمها بان الله من يجب عبادته « وانه هو المعبود ».

فقس يعتمد على العقل في بحثه عما وراء الموت ، متيقناً ان « الموت باب وكل الناس تدخله » لذا يحض على الاكتناز للآخرة . من خطبة له يحذر فيها الناس سوء المنقلب ، ويرشدهم سواء السبيل ، قال :

« ايها الناس ! شارفوا بابصاركم في كر الجديدين ، ثم ارجعوها كليلة عن بلوغ الامل ، فان الماضي عظة للباقي . ولا تجعلوا الغرور سبيل الفخر ، فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ، ومحاسبكم على ما اسلفتم . ايها الناس ! امس شاهد فاحذروه ، واليوم مؤدب فاعرفوه ، وغداً رسول فاكرموه ، وكونوا على حذر من هجوم القدر ، فان اعمالكم تطلق ابدانكم ، والصراط ميدان يكثر فيه العثار ، فالسالم ناج والعاثر في النار ... » (١ !

حقاً « ان الماضي عظة للباقي » ! فان صدق صاحب التذكرة الحمدونية ، وكانت هذه لقس ، فهي دون شك احسن ما تفوه به فاه . بيد اننا في شك منها اذ نرى عليها مسحة غير جاهلية ، تدفعنا الى الشك ؛ لاسيما ونحن في زمن نرى فيه مخبآت « جاهلية » تظهر للوجود من بين طيات اكفانها من

١) راجع هذه الخطبة في « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » للمأسوف عليه الاب ويس شيخو اليسوعي ، صفحة ٣٢٨ ، وجدها الاب في التذكرة الحمدونية (نسخة باريس خطية ص ٢٠ 84)

المخطوطات. . . وكم لا يزال من مخطوط مخبوء ، قد يقذفنا يوماً ما ، باشتات «جاهلية» ؟!

لم يتوسّع قس في وصف ما بعد الفناء ، ولعلّ بين ما فقد من آثاره ما رمز الى هذا . فان ما بيدنا لا يشير إلى ذلك قط ، فالخطبة التي اوردناها منذ هنيهة ، بها تلميح في اقتضاب ليس به ارواء للغليل او شفاء للعليل ، في حين ان امية بن ابي الصلت ، الايادي ايضاً ، ومن معاصريه ، قد انتهج نهجه في ذكرى الآخرة ، لكنه تبسط اكثر منه في وصف ما وراء الموت ، في الابدية اذ يقول:

فكل معمّر لا بد يوماً ... وذي دنيا ، يصير الى زوال !
ويفنى بعد جدّته ، ويبلى ... سوى الباقي المقدس ، ذي الجلال
وسيق المجرمون ، وهم عراة ... الى ذات المقامع ، والنكال
فنادوا : ويلنا ، ويلا عظيماً ! ... وعجّوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين ، فيستريحوا ... وكلهم بحرّ النار ، صالِ
وحلّ المتقون ، بدار صدق ... وعيش ناعم ، تحت الظلال
لهم ما يشتهون ، وما تمنوا ... من الافراح فيها ، والكمال ؟!

هنا اتى امية على ذكر الموت فوصف عقاب الخطاة وزجّهم في جهنم النار ، وثواب التقاة واثابتهم النعيم ، وما هنالك من عذاب وتعذيب وشقاء وافراح وكمال ونعيم ! كل هذا فات قساً ، او قل لم يصلنا منه اي شيء . لان من المستغرب ان امرءاً كقس بلغ من التزهد اسماه ومن التقشف اعلاه ، لا يجمل بكلمة عن الثواب والعقاب في الآخرة . ويترك كلامه على وتيرة واحدة تدعو الى الاملال ، بل الى الضجر ، مها بلغ صاحبها من متانة اسلوب وبلاغة ؛ وأوتي من فصاحة لسان ، وقوة عارضة ، ولباقة . ولا نقدر ان نعلل هذا السكوت ، سوى بان نذهب الى ان العرب ، لم يدونوا هذه او ان ما دوّن عفّ واندثر كما اندثرت آلاف سواه !

ومما يؤثر عن قس هذه الابيات ، وهي ذات روعة وخشوع :

في الذاهبين الاولـ ... ـين من القرون ، لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ، ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الاصاغر والاكابر

لا يرجع الماضي ، ولا يبقى من الباقين ، غابر
ايقنت ، اني لا محا لة ، حيث صار القوم صائر!

صدق قس ، فالعاقل من اتعظ بغيره ، وكان قس كما نراه اول ابناء يعرب ، من نظر الى الآخرة بعين الجد ، واتخذ العقل مرشده ، والحق معقله .

الحكم في شعره

غريب هو شعر العرب ! قلّ ان تجد شاعراً بالعربية لم يأتك ببعض الحكم والامثال ! سبل عقيمة تبعث الضجر والسآمة ، ومع ذلك فكل ناظم في العربية ، يزجّ نفسه في هذا المعترك ، ويحاول ان يأتي فيه بالمعجزات ، فكيف بقس ، وهو الحاضّ على الزهد والتماس الخلود ، فاذاً ليس من العجب ان نرى بين خطبه واشعاره بعض امثال بل كثيراً منها .

مما يؤثر عنه قوله :

«من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب» .

«البينة على المدّعي ، واليمين على من انكر» .

وابياته الحكمية التي اولها « في الذاهبين الاولين » . ويغني عن الايضاح ان نبي الاسلام سمعه في سوق عكاظ ، وكان يخطب في العرب ، على جمل له اورق ، وكان يؤثر عنه كلاماً كثيراً . وقد قال يوماً عنه : « رحم الله قساً ، اني لارجو ان يبعث يوم القيامة ، امة واحدة » وذلك لما كان له من الاثر في نفسه . وممن ذكره ومدحه ايضاً ، الاعشى ، وقد قال فيه :

وافصح من قس ، واجرى من الذي بذي الغيل ، من خفّان ، اصبح خادرا

ومن خطب قس المأثورة :

« ايها الاشهاد ، اين ثمود وعاد ، اين الآباء والاجداد . اين ذهب ابرهة ذو المنار ، وعمرو ذو الاذعار . هل تدرون الى ما صار اليه عبادة الفتّاح . واذينة الصيّاح . وجذيمة الوضّاح . عزوا ففخروا . وغنوا واثروا . وجدّدوا المصانع والآثار . وجدولوا الانهار . وغرسوا الاشجار . واستخدموا الليل والنهار . فهجمت الآجال . دون الامال . الا وان كل شيء الى الزوال : ثم انشد :

قد كنت اسمع بالزمان ، ولا ارى ان الزمان ، يطيق نتف جناحي
فاراه اسرع فيّ ، حتى اصبحت بيضاً ، متون عوارضي ، وصفاحي
وانا الكبير ، لنبة في قومه هيهات ! كم ناسمت من ارواح
صافحت ذا جدن ، وادرك مولدي شمر بن عمرو ، يتقى بالراح !

والفيل ذو يزن ، رأيت محله بالقهر ، بين جنادل ، وصفاح ؟
فتك الزمان بملك حمير فتكة تمسي بكل عشية ، وصباح
اودى ابو كرب ، وعمرو قبله واباد ملك اذينة الوضاح

. . .

وغدا بابرهة المنار ،فاصبحت ايامه ، ملوبة الاصباح

. . .

لا تمس في شك المنون ، اما ترى ايامه ، مشهورة الايضاح ؟
لا تأمنن مكر الزمان ، فانه اردى الزمان بشمر الوضاح
برك الزمان ، على ابن هاتك عرشه وعلى اذينة ، سالب الانواح
انبيد املاك مضوا ، من حمير يرجى الفلاح ، ولات حين فلاح !
من ذا تعافق كفه كف الردى يشري التقى ، عن يمة الارواح !

ومما يلصق بقس ، بعض كلمات حكمية ، زعموا انه قالها لقيصر حين وفد عليه مرة ، فقال له قيصر: «ما افضل العلم؟» قال: «معرفة الرجل بنفسه». قال: «فما افضل العقل ؟» قال: «وقوف المرء عند علمه». قال: «فما افضل الادب ؟ » قال: «استبقاء الرجل ماء وجهه.» قال: «فما افضل المروءة؟» قال: «قلة رغبة المرء في اخلاف وعده.» قال: «فما افضل المال؟» قال: «ما قضى به الحق !...»

كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل ، كلمات حوت اثمن النصائح!... لا نظن ان قسا قائلها ، ولا شك ان العرب اتهموه بها ، لما اطلعوا على آداب الاغريق ، فارادوا الزعم بوجود حكيم عندهم ، يماثل ديوجينس ، في اجابة الرد الحكيم . ولم يجدوا مرتعاً اخصب من قس ، فالفوا هذه ، وكفنوه بها !

نصرانيته

اثنان من اياد ، احدهما عظّمته العرب ، والآخر رذلته إلا قليلها ، هما قسّ بن ساعدة ، وامية بن ابي الصلت . كلاهما ذكره نبي الاسلام ، قال عن الاول : « يرحم الله قساً ، اني لارجو ان يبعث يوم القيامة امة واحدة » . وقال عن الثاني ، حين سمعه: « كاد امية ان يسلم » . ومال لسماع اقوالهما ، وعن كليهما اقتبس واكتسب شيئاً . ولكنه اجاز شعر الاول ، ونهى عن الثاني . فالاول لم يكن رجل حرب ، وابتلعه الموت قبل ان يستنفر لمناجزة

النبي . ولذا أجيزت اقواله .... والثاني كان فارساً مغواراً ، فشاكس النبي ، وقاومه . فنُهي عن مذاكرة اشعاره.

كلاهما كان مسيحياً . امية بن ابي الصلت تؤيده شواهد عدةٌ[1] .وشاعرنا اليوم ابن ساعدة ، له ايضاً منها نأتي على بعضها: اولاً : كونه من اياد ، وكون « مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهلية...صرّحوا، كما بيناً سابقاً ، بنصرانية بني اياد بن نزار[2] » . ثانياً : كونه اسقفاً لنجران ، وهذه بلدة مسيحية ذات دير شهير في ذلك الزمن ، وقد طمع في قبتها ذو نؤاس ، وهو تبع يهودي ، واستولى عليها ، وحوّلها الى كعبة لليهود ، كما يحدثنا بذلك الاغاني وابن الاثير .. وهي التي يقول فيها الاعشى :

وكعبة نجران ، حتم عليك م حتى تناخي بابوابها
تزور يزيداً ، وعبد المسيح وقيساً ، وهم خير اربابها

ثالثاً : وصف الجارود له حين قدم على محمد للاسلام. قال: « يلبس (قس) المسوح ويتبع السياح ، على منهاج المسيح ، لا يغير الرهبانية ، مقراً بالوحدانية.» ويكفي ان نقول ان ممن ذكروا شيئاً عن نصرانية قبيلة اياد ، كان الفارابي ، والبكري ، وابن دريد ، وياقوت ، وغيرهم من الكتاب ، وبهم خير شاهد واحسن تأكيد.

وفاته

قيل انه توفي حوالي سنة ٦٠٠ للسيد المسيح ، في روحين ، وهي قرب حلب ، في لحف جبل ، حيث كان له مشهد مليح ، يُقصد للزيارة ، وتُنذر له النذور ، وله وقف . وممن رثاه ابو جعبل الالبيري الذي زار قبره. فقال:

هذه منازل ذي العلا قس بن ساعدة الايادي
كم عاش في الدنيا ، وكم اسدى الينا من اياد !
قد نالها ، بحلى البلا غة ، مفصحاً في كل ناد
قد قرّ في بطن الثرى متفرداً بين العباد !

وقد صار الى « حيث صار القوم » فرحم الله تلك النفس التقية !

---

١) اطلب مقالنا: امين بن ابي الصلت: المشرق (٢٦[١٩٢٧]٤٩٢).

٢) الاب لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية – صفحة ٦٩.

فوائد التحريج

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ؛
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

لقد بحثنا فيما مضى عن فوائد التحريج من حيث الجمال الطبيعي والمنفعة المادية ، فهنالك ظلُّ الاشجار ، وخضارُها ، وثمارها ، والينابيع العذبة . وهنالك الرمال الجارفة اوقفتها الغابات ، وصناعات شتى اخذت من الخشب موادّها .

وهل يحسن بنا ان نختم ذلك الموضوع ، ولا نطرق بندًا هو في غاية من الاهمية اليوم ، بتقدّم الصناعات وازدياد عدد المحركات النارية ، ألا وهو بندُ الموادّ الشاعلة !

الموادّ الشاعلة كثيرة انواعها . فمنها ما جاء غازًا يُنيرُ ويدفئ ، ومنها ما كان سائلًا كالبترول والكحول وما شابه ، او جامدًا صلبًا كالفحم وانواعه . وما من احد يجهل منافع تلك الموادّ واهميتها اليوم في عالم الصناعة :

الغاز

فالغاز ، ومصدره الفحم ، لا يزال يستعمل ، رغم انتشار الكهرباء ، للطبخ والتدفئة في البيوت والفنادق ، كما كان ذلك في بيروت قبل الحرب . وتغلّبه على الكهرباء في توليد الحرارة – رغم كونه سامًا – هو ثمنه البخس . فنفقاته جزء من نفقات الكهرباء حتى في بلد رخصت فيه القوة الكهربائية . وقد جاء مؤخرًا في التصريحات الرسمية ، ان الفنادق التي استخدمت المطبخ الكهربائي ، في باريس ، الى اليوم ، لا يتجاوز عددها العشرين . هذا طبعًا فيما يختص بالحرارة . اما في التنوير فللكهرباء افضلية لا تنكر ، ناهيك عن ان

مصروفها في توليد النور احطّ بدرجات منه في توليد الحرارة. فنفقات القنديل الواحد قوة المائة شمعة لا تبلغ جزءاً من سبعة من نفقات اصغر بابور للتدفئة وكلاهما على الكهرباء.

ولا نطيل الشرح في كيفية استخراج الغاز من الفحم، بل يكفي ان نقول انه يُعمل بتقطير الفحم الحجري ضمن حلة مسدودة، بمعزل عن الهواء، وعملية التقطير تعطي، خلا الغاز الشاعل، قسماً من الزفت واملاح النشادر تفرز بمرور الشاعل في الماء. ويبقى في الحلّة نوع من الفحم يعرف بالكوك (coke)، يُستخدم في صناعة الحديد وغيرها.

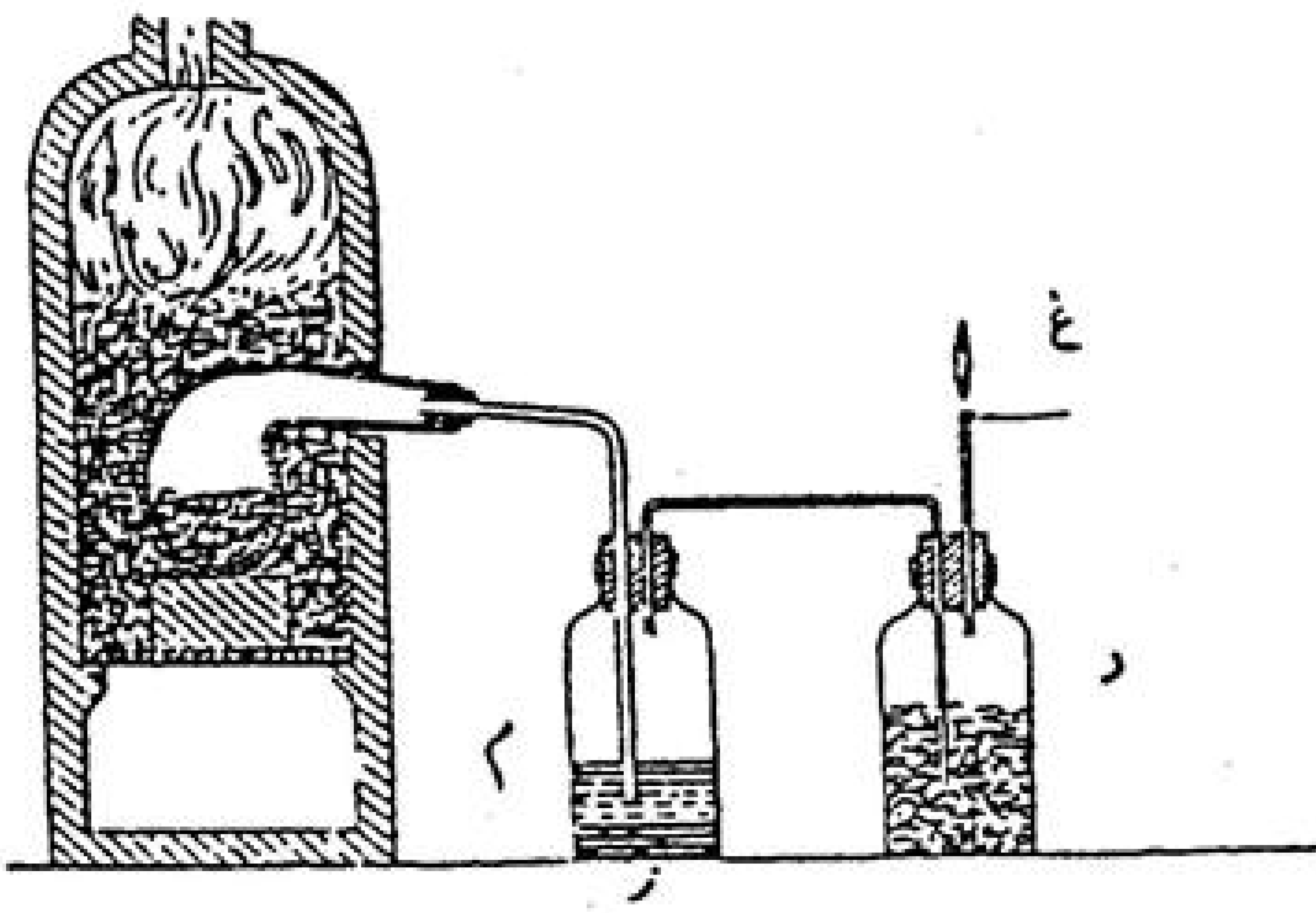

الرسم ١ : طريقة تحضير الغاز بكمية صغيرة في المختبر
ف : الفحم م : ماء لترسيب الزفت وتذويب املاح النشادر
د : مواد كيماوية لتطهير الغاز غ : الغاز الشاعل

البترول

قلنا كلمة، في العدد الماضي، عن هذا السائل المعدني وينابيعه وهو الآن لا يكاد يُستغنى عنه، لا للإنارة لأن قناديل «الكاز» مالت الى الزوال، بل لتسيير ملايين من المحركات ثابتة او نقّالة، كما في السيارات. وكلمة البترول عندنا تعني ليس فقط السائل المعروف «بالكاز» بل البنزين، والزيت الوسخ (المازوت) ايضاً؛ وكلاهما يستخرجان من الاول بواسطة التقطير.

فاول ما يُستقطر البنزين لخفته ، ثم يُستخرج البترول العادي ويبقى في الانبيق الزيت الوسخ . ومما زاد في اهمية البنزين ، صلاحيته لإدارة محركات بسيطة الصنع ، عظيمة القوة ، صغيرة الحجم ، خلافاً للمحركات على الزيت الوسخ . وقد توصلوا في الطيران الى عمل محركات على البنزين بقوة خمسمائة حصان لا يتجاوز وزنها المائة كيلو او ما يقارب ذلك . وهذا من الاسباب التي جعلت مسألة البترول ، في العالم ، مسألة سياسية ، وفي الشرق عندنا مؤخراً مثلٌ على ذلك.

الفحم

لا تغالي اذا قلنا ان الفحم هو اهم المواد الشاعلة ، رغم انتشار البترول .. كيف لا وينابيع البترول على غزارتها لا بُدَّ من ان تجفَّ يوماً . غير ان مناجم الفحم كثيرة والاشجار والغابات موردٌ مستديم للفحم الخشبي . ثم اذا كان للبترول وما يستخرج منه افضلية في توليد القوات الصغيرة ، فالفحم مصدر القوات العظيمة ، تشهد بذلك تلك الآلات الضخمة التي يديرها البخار مولداً بتسخين الماء . وقد رأيت في وسط جنفيلير ، قرب باريس ، آلتين كهذه قوة كلٍ منها ستون الف حصان . واذا صحَّ ما جاء في بعض المجلات ، فالاميركان اتوا مؤخراً بآلة بخارية تربو قوتها على المئتي الف حصان .

كلُّ ذلك يبين انه لا يزال للفحم ، اليوم ، المقام الاول في توليد القوة . فبه سارت وستسير قطاراتنا ، بخاريةً كانت ام كهربائية ، الّا اذا استخرجت كهربائيتنا من شلالات الماء كما بدأوا به الآن في زحله والقاديشا . وبه سارت وستسير بواخرنا رغمَ ما رموا اليه من استبدال الماكنة البخارية بمحرك ضخم على المازوت ، كما في الباخرة «شامپوليون» وبعض البواخر الجديدة الصنع . . . الفحم ! كم ضبٍّ من المعادن كالحديد والنحاس وغيرها ! . . وهو اذا استغني عنه في توليد القوة ، لا يُستغنى عنه في كثير من الصناعات المعدنية كصناعة الحديد مثلاً . ففائدته هنا لا تتوقف على توليد الحرارة اللازمة لتذويب المعدن بل على تحويله ايضاً من نوع الى نوع نظراً لما فيه من الكربون . وهكذا

يحول المعدن الاولي (minerai) الى حديد صب (fonte) ثم الى حديد بسيط (fer) او حديد فولاذي (acier).

ومهما كانت اهمية الفحم فعلينا ان نميز بين الفحم الحجري او المعدني والفحم الخشبي.

الفحم الحجري

يتكوّن طبقات في الارض يبلغ علوّها احياناً عشرة امتار ونيف بطول بضعة كيلومترات. انواعه كثيرة منها التورب (tourbe) ومصدره بعض اعشاب المستنقعات تختمر تحت الماء فتتحول فحماً يزداد علوه — على حساب البعض — ثلاثة امتار في القرن. وفي جهات قب الياس في البقاع آثار منه. ومن الفحم الليينيت (lignite) والانتراسيت (anthracite) واصلها جذوع واغصان واعشاب جرّتها المياه، فطمرها التراب فتحولت فحماً على مرور الاجيال. وهذه النظرية لا سبيل الى اثباتها بعدما عثروا في كثير من المناجم، على اوراق واغصان حتى وجذوع قائمة ترى في شكلها الطبيعي محولة الى مادة فحمية، كما في الرسم ٢. ولا فرق بين الليينيت والانتراسيت سوى ان الاول هو الفحم في اول دورته والثاني هو الفحم الناضج.

الرسم ٢

جزء من الاشجار حولته الاجيال فحماً

الفحم الخشبي

وعلى اتساع مناجم الفحم، فهي نافدة يوماً. وهذا مما يقلق افكار الحكومات كنفاد البترول. وان كان علماء الكيمياء قد شرعوا في البحث والتنقيب عن

طرق لتركيب البترول ، فعمل الفحم اقدم من الكيمياء والكيمائيين . كيف لا وقد توصل الانسان الى عمله ، منذ اجيال ، باحراق الحطب ضمن مشاحر اولية ، منها كثير في جرود لبنان . يقطع الحطب زنوداً ويستف بشكل دائرة قبلية السطح ، ترك وسطها فارغاً كمدخنة . ثم تغطّى تلك الزنود بالاوراق وبعده بقشرة من التراب كي لا يدخلها من الهواء الّا القليل . ثم توقد النار ضمن المدخنة وتترك المشحرة هكذا اياماً ريثما يتحول الحطب من الوسط الى اطراف الدائرة ، ومن القعر الى السقف فحماً كاملاً (انظر الرسم ٣) . ورغم بساطة تلك الطريقة فاستعمالها ليس بالسهل ، ولا ينجح بها من القرويين الّا من اعتادها بمرور الزمن . ومن شروط نجاحها اتقان القشرة الخارجية . فاذا كانت هذه خاوية دخل الهواء بكثرة فاشتعل الحطب ولم يبق الّا رماداً ، واذا كانت محكمة السد لم يتم الاحتراق ، فكان ما يعرف عند العامة « بالعرّاط » وهي

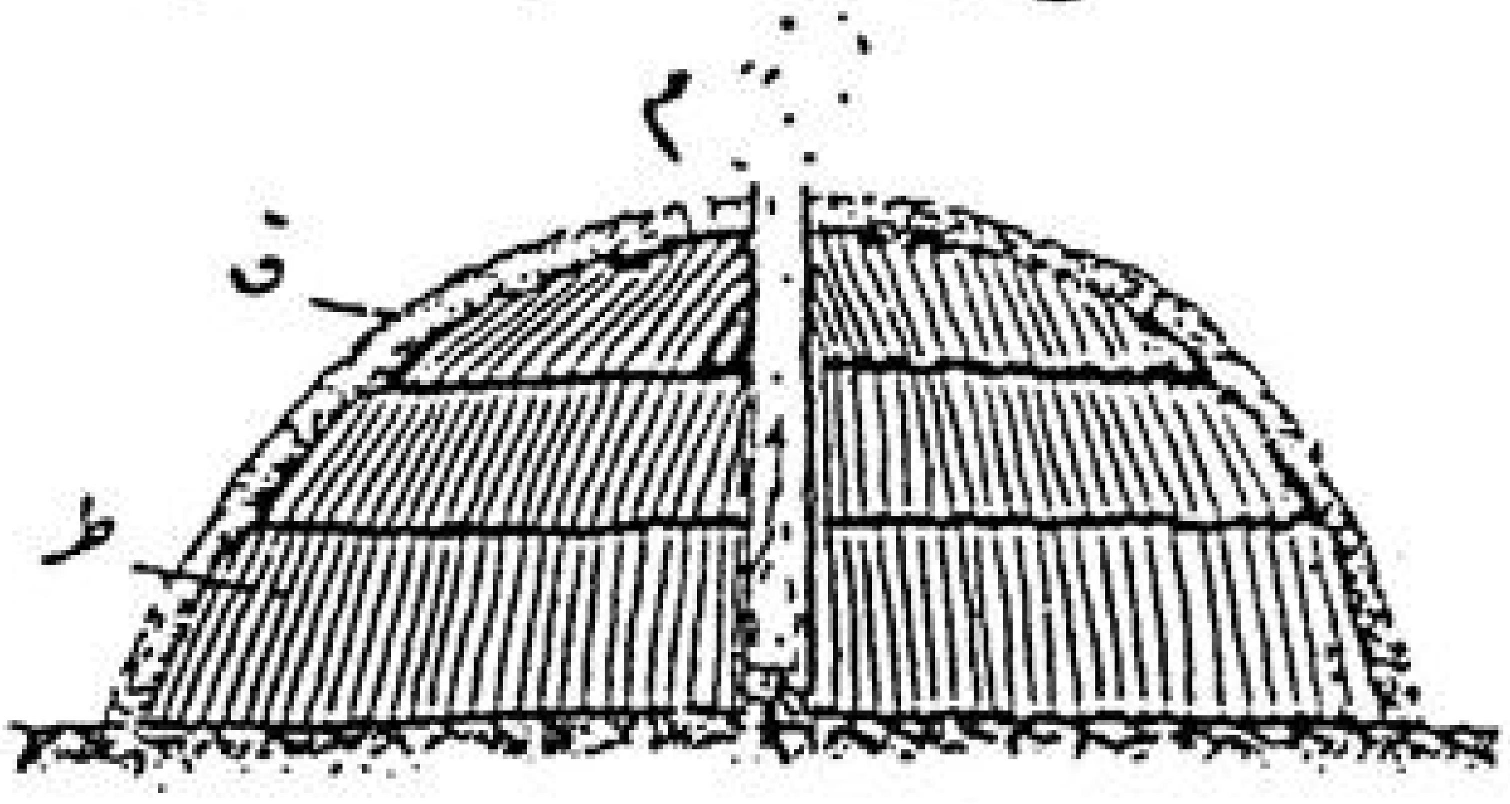

الرسم ٣ : شكل هندسي لمشحرة عادية
ط : زنود الحطب
ق : قشرة من التراب واغصان الاشجار
م : مدخنة

زنود لم تزل حطباً اذا أشعلت تصاعد منها دخانٌ مزعج ورائحة كريهة . ومن الغريب أنّ العرّاط لا يعرف الّا متى وقد ، لاسوداد ظاهره ، غير ان من ربّات المنازل من تعرفه احياناً لثقله ، فتنبذه خارجاً .

والمشاحر السابق ذكرها صعبة الاستخدام في بلاد تكثر فيها العواصف والزوابع حتى في ايام الصيف . فالعاصفة تهدم المشحرة او تكشف عنها التراب فيدخل الهواء بكثرة ، فيلتهب الحطب . والامطار توقف الاحتراق وتبلّل الزنود . واجتيازاً لتلك العقبات فقد عملَ احدُ الفرنساويين ، لثلاث سنوات خلت ، مشحرة نقالة ، بشكل حلّةٍ مستديرة ذات غطاء ، من عن جانبها آلات لوزن الحرارة الداخلية تنبئ عن حالة الاحتراق ضمن الحلّة . ومعرفة هذه الحرارة مما يسهل تعديل الهواء بواسطة طاقات صغيرة تفتح وتسد عند اللزوم . ويظهر ان

تلك المشجرة جاءت بنتائج حسنة لسهولتها بحيث ان شخصاً فرداً يتمكن ، دفعة واحدة ، من مناظرة اربعة منها ..

هل فوائد الاشجار ، في المواد الشاعلة ، متوقفة على الحطب والفحم

اول ما استخدمت جذوع الاشجار واغصانهـا ، حطباً كانت ام فحماً ، للوقود دون ما نظر الى مـا في الخشب من المواد النافعة التي تذهب ضياعاً باحتراقه . وما تقدّم فنُّ الكيمياء في القرن الماضي ، حتى عرف ان في الخشب موادّ غـاية في الاهمية تستخرج بتقطير الحطب ، ومن هذه المواد الحامض الخليك والكحول الخشبي وكلاهما محورا الكيمياء العضوية . اما التقطير فيجري بواسطة الأنبيق بان يوضع الحطب ضمن حلّة مغطّاة ، كما في الرسم ٤ ، توقد تحتها النار . وهذه الحلّة موصولة بانبوب لولبي ، تبرّده الميـاه ، يؤدي بالمواد المتقطرة الى وعاء تركدُ فيه طبقات حسب ثقلها النوعي : الزفت ، فالاستون ، فالكحول الخشبي ، فالحامض الخليك . وقـد يخرج ، مع البخار ، غازات شاعلة لا تقطر فتؤخذ من آخر الانبوب لتستعمـل كوقود تحت الحلّة عوضاً عن الحطب او الفحم . فكان عملية التقطير لا تستلزم من الوقود الّا يسيرًا في البدء ، قبل خروج الغاز الشاعل . واذا ما انتهى التقطير وفتحنا الحلة ، وجدنا فحماً هو الفحم الخشبي ، يستخدم او يباع .

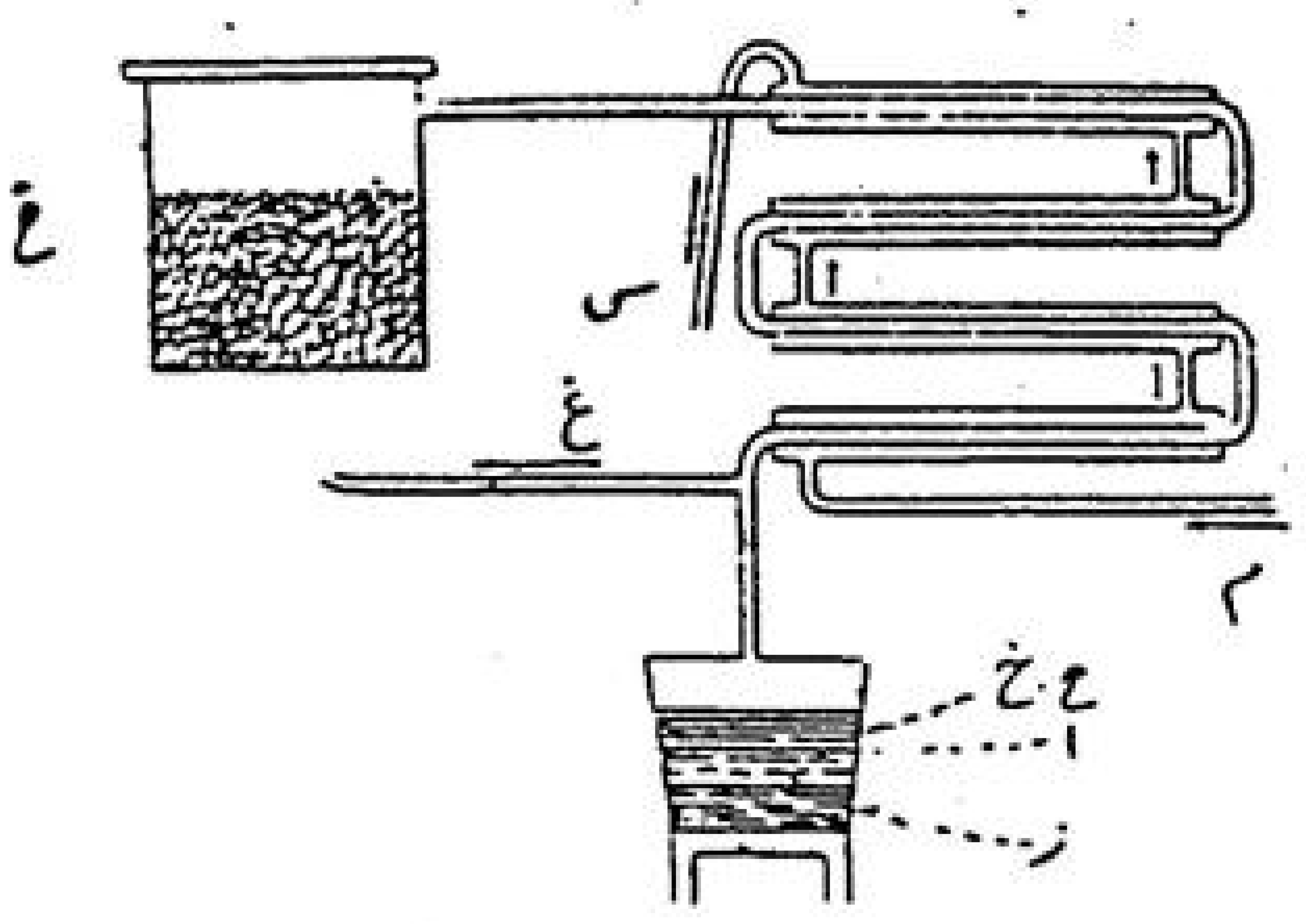

الرسم ٤ : شكل هندسي لطريقة تقطير الخشب

ح : الحطب في الحلة م : الماء البارد

غ : الغاز الشاعل ز : الزفت

ا : الكحول ح.خ : الحامض الخليك

س : الماء السخن عند خروجه

وفكرة تقطير الخشب لاستخراج مواده قلبت صناعة الفحم الخشبي ظهراً لبطن . فبينا كان يُعمد الى الحطب للوصول الى الفحم فقط فقد اصبح الفحم ، في تقطير الخشب ، مادةً ثانوية . وعلى هذا فقد قامت في اوربة معامل ترمي

الى تقطير الخشب لاستيراد الاستون والكحول والحامض الخليك. وفي الرسم ٥ منظر لواحد منها. اما من الوجهة الاقتصادية فعلى تلك المعامل ان تكون في وسط غاب او على مقربة من موارد الحطب، توفيراً لنفقات النقل. وكم فكّر الاختصاصيون

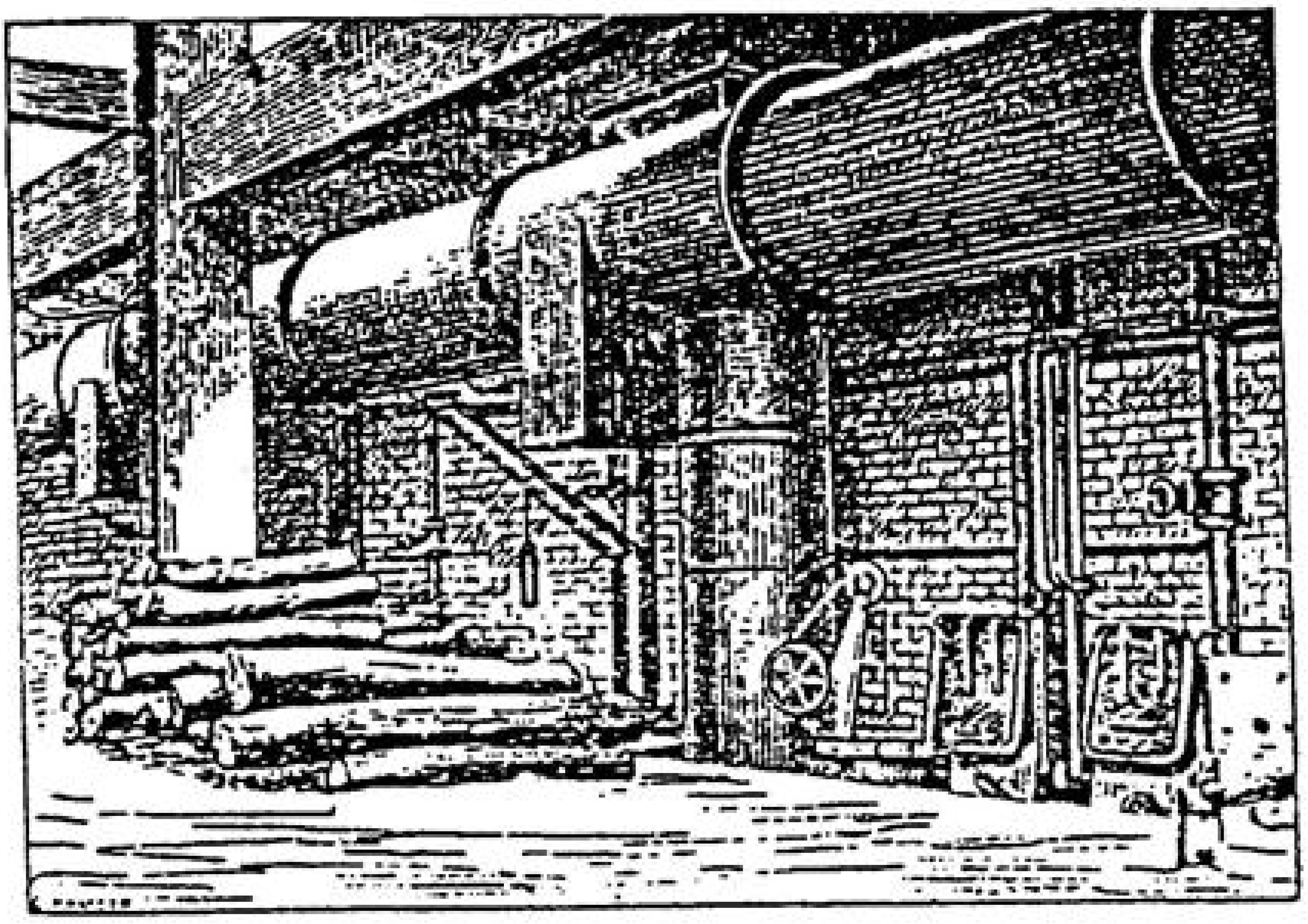

الرسم ٥: منظر لمقطرة صناعية تستخرج المواد الكيماوية من الخشب.

بطريقة سهلة لاستخراج المواد التي ذكرها في المشاحر العادية حيث لا ينظر القروي الّا الى الفحم، بيد ان هنالك اجساماً اهم واغلى تذهبُ ضياعاً في الجو.

الفحم الخشبي: استعماله في السيارات

وسواء استحضر بالطريقة الاولية او بطريقة التقطير، فللفحم الخشبي اهمية تكبر يوماً فيوماً بازدياد الصناعات واتساع الاحتياج الى الوقود. وللفحم العادي ميزة عمّا يستحضر بالتقطير، لحصوله على قسم من الغازات الشاعلة. فاذا قيأر بواسطة الغازوجن جاء بنوع من الغاز (gaz pauvre) يستخدم، كالبترول، لادارة محركات مخصوصة، فتبيت القوة الحيلية بتلك الطريقة، رخيصة جداً. وقد كان يرى من تلك المحركات في شركة الجرّ والتنوير في بيروت، حتى استُبدلت اخيراً بمحركات على الزيت الوسخ.

واستخراج القوة الحيلية من الفحم الخشبي، بطريقة الغازوجن، وتطبيقها على تسيير السيارات، مسألة اشغلت عقول الفنيين والاداريين معاً في السنين الاخيرة.

وتلك النهضة فرنساوية محضة لافتقار هذه الدولة الى البترول. فكأنها ارادت ان تتخذ لها بذلك للمستقبل درعاً ، فيما لو كانت حرب جديدة وقطعت عنها موارد البترول. لذا همت سنة ١٩٢٥ معامل عديدة ، منها معامل رينو الشهيرة بدروس واختبارات ثم وضعت نموذجات لسيارات ، منها النقل ومنها للركاب ، جاءت لدى التجربة بنتائج كلها آمال . وقد اثبتت الجرائد ، اذ ذاك ، الفحم الخشبي «بالوقود الوطني» لكثرة الاحراج في الشرق والجنوب. انما ، وان كانت المسألة هذه قد حلت فنياً ، فلا يجوز تطبيقها الا على سيارات النقل حيث التوفير ظاهر بين ثمن البنزين وثمن الغاز. اما في السيارات العادية فالاقتصاد الناتج عن الوقود لا يوازي نقمة الغازوجن وما يستلزمه من الاعتناء في تنظيفه ، وتعبئته من الفحم.

تلك نظرة في منافع الاشجار من حيث استخدامها للوقود وبعض المواد الشاعلة ، نضمها الى ما سبق من المنافع التي اوردناها من حيث الجمال الطبيعي وزيادة الينابيع ، وحفظ التراب من عوامل الهواء... ولا يسعنا ان ننهي ذلك الموضوع قبل ان نبدي كلمة في منافع الاشجار والغابات الصحية. فمن المعروف ان الحرارة الدموية ، في الانسان او الحيوان ، اساسها احتراق المواد الغذائية بواسطة الاوكسيجن الذي يتنشقه المرء بالهواء. ومتى تم الاحتراق ، كان الغاز الكربونيك ، وهو لا يصلح للحياة ، فيفرزه الانسان . والتنشق والفرز يتمان بواسطة الانف واحياناً بالفم . فلو عدلنا ما يصرفه الانسان الواحد من الاوكسيجن وما يفرزه من الغاز الكربونيك في الساعة او في اليوم ، لوجدنا ان الهواء لا يلبث ان يفسد — خصوصاً في المدن الكثيرة السكان — ان لم يكن هنالك طريقة طبيعية لتجديده . وهذه الطريقة تجري بواسطة اوراق الاشجار . ففي تلك الاوراق الخضراء مادة تعرف بالخضوب (كلوروفيل) تحوّل ، بتأثير الحرارة الشمسية ، الغاز الكربونيك الى اوكسيجن وكربون فتستبقي بالثاني لحياتها وتفرز الاول ، مجددة هكذا الهواء الفاسد...

فلدى تلك المنافع يجدر بحكومتنا ان تنشط الى تحريج البلاد . فإن لم يكن ، من وراء ذلك ، منافع مادية تذكر ، كانت على الاقل منافع صحية ، وجمال طبيعي ، فعاد الى لبنان رونقه ونضارته...

الاب لوسيان كاتن

١٨٥١-١٩٢٩

بقلم

الخوري بطرس غالب

يوم الاحد الواقع في ٢٦ ايار الماضي ، ساعة توارت الشمس بين الجبال العالية المشرفة على البقاع ، انطفأ في تعنايل الحديقة الغناء ، نورٌ لمع في افق لبنان وسورية ومصر خمساً واربعين سنة ، ارسل في خلالها اشعته على العقول فاضاءها بتعليمه ، وعلى القلوب فاضرمها بحب الله وحبه ، ودفعها في سبل الخير دفعةً لا يزال تأثيرها ظاهراً حتى الساعة.

الاب لوسيان كاتن ، السويسري المولد ، الفرنسي العواطف ، اللبناني القلب ، هجر قبيلته ووطنه وجاء بلادنا التي ما كان عرفها الّا بما رواه عنها رفقاؤه في الابتداء ، وتخصص لخدمة شبيبة تعشّقها مذ توسّم بها من الاهلية ما يجعلها جديرة بان تحلّ في المستوى البشري محلاً معتبراً يعدها اليه ما زينها بها الخالق من المواهب الفطرية.

الاب لوسيان كاتن ذو منزلة سامية في القلوب ، وفضل جزيل على الشبيبة . خبرتُ عن كثب ما تحلّى به من المزايا الطبيعية والفضائل الفريدة التي جذبت الى طرق الصلاح عدداً عديداً من ناشئة الوطن ، فوجب عليَّ ان انفح تلاميذه واحباءه ومعارفه ، وهم السواد الاعظم في هذه البلاد ، بنبذة توقفهم على حياة هذا الراهب المتواضع المطيع المتجرد عن كل حطام الدنيا ، الذي اتى اعمالاً يعجز عنها اصحاب الحول والطول بسعيه المبارك المسند الى قوة الله والى عنايته ، جاهد جهاداً طويلاً وحسناً ففاز بالاكليل المعدّ للمجاهدين.

* * *

ولد لوسيان فيكتور كاتن في اول شهر آذار ، المكرّس لعبادة القديس

يوسف ، سنة ١٨٥١ في بلدة بَرْيِر الواقعة قرب نوارمون من اعمال سويسرة ، وقبل سرّ العماد في اليوم ذاته . فربّاه والداه التقيّان على سنن الفضيلة والتقوى ثم سلّما امره الى خادم الرعية فلقنه مبادئ العلوم واهّبه للمناولة الاولى فتقدم من المائدة المقدسة سنة ١٨٦٢ . وما طال به الامر حتى سمع صوت الله يدعوه الى الحياة الرهبانية ، فطلب ان يسلك في طريق الكمال في جمعية يسوع ، فاستجيب طلبه ودخل دير الابتداء في مدينة كلرمون في فرنسة في اليوم السادس عشر من شهر آذار ١٨٦٨ . وكان بين الذين قضوا سنتي الامتحان معه الاب انطون صالحاني اليسوعي . فعكف المبتدئ الجديد على التمرّن على اساليب المعيشة الرهبانية وكمالها ، واذ رأى رؤساؤه حسن استعداده لاقتباس العلوم ، وللتقدم الى الدرجات المقدسة ، اوعزوا اليه ان يدرس اللغة اللاتينية ، ففعل وبرع فيها . ثم انتقل من دير الابتداء الى دير الدارسين من ابناء رهبانيته في مدينة لون له سونيه ، حيث التقى ببعض الدارسين اليسوعيين اللبنانيين كالابوين جبرائيل اده وسليمان غانم ، فاخبراه عن لبنان واحواله وارسالياته . وفي يوم عيد القديس يوسف ١٨٧٠ ابرز نذوره الاولى ثم انصرف الى اتقان المعاني والبيان طبقاً لما يفرضه القانون . وفي ٢١ آب من السنة نفسها رقي الدرجة الاولى من السلك الاكليريكي اي رتبة قص الشعر رمزاً الى تجرّده عن العالم وتخصصه لله تعالى .

في سنة ١٨٧١ نُقل الى مدرسة القديس ميخائيل في مدينة سانت اتيان فدرّس فيها اربع سنوات ، ثم تولّى رعاية فئة المتوسطين مدة سنتين .

وفي تلك الفترة رقي الى الدرجات الصغار (١٨ ك ١ ١٨٧٤) ثم الى الشماسية الرسائلية (٢٦ ايار ١٨٧٧) بوضع يد الكردينال كاثرو رئيس اساقفة ليون . وما لبث ان جاء معهد برسبورغ في المجر حيث درس الفلسفة فلمع بين اقرانه . ولما انجزها ، ارسله رؤساؤه (١٨٨٠) الى جامعة انسبروك ، في بلاد التيرول النمساوي ، فتلقى علم اللاهوت على اساتذة شهيرين مدة اربع سنوات سيم في خلالها (٢٥ تموز ١٨٨٢) شماساً انجيلياً ، وبعد سنتين (٢٦ تموز ١٨٨٤) رقي الى الكهنوت . ثم في اوائل السنة المدرسية أرسل الى

بيروت ليستلم فيها ادارة الدروس والنظام المدرسي فقام سنتين بمهمته هذه افضل قيام.

سافر الى سلوغ في انكلترة (١٨٨٦) ليقضي سنة الامتحان الثالثة طبقاً لما يفرضه القانون واستعداداً لابراز النذور الاحتفالية. ثم عيّن رئيساً لمدرسة القديس فرنسيس كسفاريوس في الاسكندرية (١٨٨٨) وفيها نذر النذور الاخيرة وتقيّد بخدمة الرب في الرهبانية اليسوعية الى الابد.

روى الذين قضوا، باشرافه وادارته تلك السنوات الثماني، انها كانت المع سنوات تلك المدرسة الشهيرة واغزرها فائدة لطلّاب العلم الذين كانوا يرتادونها عديدين. فان الصفات التي تحلّى بها الاب كاتن جذبت اليه قلوب الاهلين والتلاميذ الذي ادركوا ان بين لوحي ذلك الصدر الرحب يخفق قلب يتدفق حناناً على الشبيبة، مملوء تفانياً واخلاصاً لها، يبذل كل ما عزّ وهان في سبيل خدمة نفوسها وعقولها، ولا يأنف من مدّ يد المساعدة المادية والادبية متى دعت الحاجة الى ذلك.

كان الاب كاتن يسهر على دروس الطلبة بعين يقظى يتتبع خطواتهم في سنيهم المدرسية وبعدها، لا ينتظر ان يأتي ابناؤه اليه بل يتطلّبهم بنفسه ويستفهم عن احوالهم ويجود عليهم بما يستطيعه. وهذه المزايا التي امتاز بها في الاسكندرية بلغت حدّ الكمال بتوالي الايام، ولم تكن معرفته الشبيبة وخيبة آماله بعض الاحيان الّا لتزيده تعلقاً بها، معتقداً ان الاب لا يجب ان يثنيه عن العناية بابنائه هفوات او خطيئات تصدر منهم، بل عليه ان يضاعف السهر والمحبة ليحفظهم في جادّة الدين والآداب. وكان كل من يهتم به الاب كاتن يظن ان الاب كاتن لا شغل يشغله عنه. ولما قرر الرؤساء الغاء مدرسة الاسكندرية بعد الحرب الكبرى، تأثر الاب كاتن لانه كان قد تعب فيها كثيراً، لكنه لم يتذمّر ولم ينتقد، بل حبّذ العمل الذي قضى على اتعابه مدة ثماني سنوات.

واذ ظهرت مقدرة الاب كاتن الادارية وسلطته على القلوب، دعاه الرؤساء الى بيروت ليسلّموه شؤون المكتب الطبي، وارشاد جمهور الكلية الروحي.

وكانت بناية المكتب الطبي في ذلك الحين هي بناية مكتب الحقوق اليوم. فذ استلامه وظيفته نفخ في الطلبة والاساتذة روحاً جديداً ، فتقدم المكتب تقدماً عظيماً على توالي الايام ، فاخذت فكرة نقله الى محلّ اوفر مناسبة تشغل عقل الاب كاتن لان البناء ضاق بساكنيه ، واصبحت معدّاته غير كافية لتمرين الطلبة على الاعمال الطبيّة والاختبارات.

ولم تلهه مشاغله الادارية عن القيام بوظيفته الروحية فخصص لنفوس الشبان كل ما اتصف به من حكمة ومحبة وعزم ما جعلهم يعتقدون ان في قلب الاب كاتن مستودع حب سام لا ينضب ، فصارحوه بكل ما كان يؤلم نفوسهم ويقلقها ، وكان يصعب على الاب كاتن ان ينسب الى الغير سوء النية او تعمّد الشر.

وما اكتفى الرؤساء بما القوه على عاتقه من الاثقال ، بل كلفوه ادارة كلية القديس يوسف ، فتولاها مدة ثلاث سنوات بعد الاب جبرائيل اده الذي كان انالها من حسن السمعة والشهرة ما اوجب على الرئيس الجديد ان يبذل قصارى جهده في حفظ مقامها بل في اعلاء شأنه وقد وفقه الله الى ذلك. وفي اثناء رئاسته هذه أسست جمعية الطلبة القدماء. وكان له اليد الطولى في تأسيسها ، غايته منها حفظ الشبيبة بعد خروجها من المدرسة وتوطيد علائقها مع مرشديها واساتذتها ، وضم كلمتها ليكون لها مقدرة على ادارة حركة الافكار وتطوّراتها لانها نخبة شبان البلاد ومحط آمالها.

اما الاب كاتن رئيساً فلم يختلف عنه مرشداً. فكان يستدعي التلاميذ فرداً فرداً ويستوضحهم عن احوالهم النفسية والصحية والمدرسية موبخاً بتؤدة ، مشجعاً ناصحاً ، نافخاً روح التقوى والاجتهاد ، واثقاً بمواعيدهم الى ان يخيّبوا اماله فيصرفهم وكان هذا الامر نادراً. كان التلاميذ يحبونه ويتهيبونه. وكثيرون كانوا يخشون قربه ، لان هيئة الوقار تجلله. لكن اوهامهم كانت تتلاشى حين يعرفونه عن كثب ، وهو الصديق الحميم يُعنى بمن يلجأ اليه كانه اخوه او ابنه ، ينفتح له قلبك فيلجه ويستملكه ، فتشعر ان محبته تسري فيك وتكتنفك فتبادله اياها وتتعلّق به.

اما سرّ هذه السلطة في الاب كاتن فهو تفوقه في فضائله وسمو اخلاقه

المبني على اخلاصه للسيد المسيح في خدمة النفوس . وقد حقَّ لاحد الذين عاشروه وخبروا اعماله وهو من علية رجال الاكليرس ان يقول : « اعتقد ان الاب كاتن لم يأتِ عملًا لم تدفعه اليه غاية فائقة الطبيعة .»

ولما انتهت مدة رئاسته على الكلية أُلقيت اليه مقاليد الرسالة كلها ، مع تبعة ادارة مدرسة الطب (١٩٠٢ – ١٩٠٧) فلم يعبأ بالحمل بل توكل على الله وسار في سبيله ، وهو الرجل الذي لا تريعه مسئولية مهما عظمت . لان استناده ليس الى نفسه بل الى الله تعالى . زار اديار المرسلين اليسوعيين والمدارس التي يديرونها ففرح قلبه بما رآه من الخير . ولذا كان يحرّض دارسي الرهبانية على ان يتعلموا اللغة العربية لتصبح بين ايديهم صلة تفاهم ووسيلة لنشر المبادئ الصحيحة ليربحوا النفوس للمسيح .

ومما عُرف عنه انه كان يدفع الطلبة الى تعلّم اللغة اللاتينية اعتقادًا منه ان لآدابها تأثيرًا صالحًا في التهذيب والتثقيف ، لانها توجب على العقل التمرّن على كشف ما استتر من المعاني في قوالب التعبير المختلفة الاشكال بل كان يرمي الى افضل من ذلك وهو ترويج الدعوات الكهنوتية لان تعليم الشبيبة ما هو كافٍ لكسب المعاش والاستخدام يبقي العقل على حالته ويقف عقبة في طريق النفوس ، ويمنعها من ان تصبو الى ما هو اسمى من الامور الدنيوية ، اي الى التقيّد بخدمة الله والتخصص بها .

قلت ان ترقي المكتب الطبي والسمعة التي حازهـا في الشرق والغرب استوجبا تشييد مكتب جديد فسيح الارجاء مجهز بكامل المعدات التي يقتضيها الطب الحديث من آلات ومختبرات وحدائق وقاعات تشريح وتدريس ومتحف ، فاخذ الاب كاتن يمحص فكرة تحقيق هذه التمنيات بعد ان اعرب عنها رؤساء اللجان الفاحصة التي كانت ترسلها الحكومة الفرنسية لامتحان الطلبة . فانهم كانوا يرون بام عينهم تقدم التلاميذ وحسن استعدادهم ، ويقابلون بينها وبين الوسائط الموضوعة بين ايديهم فيظهر الفرق عظيمًا ولاسيما حينما كانوا يشاهدون ما هي عليه الجامعة الاميركية من السعة في ماليتها ودورها ومستشفياتها .

وكان اول ما سعى اليه وناله تعين لجنة طبية تركية تشترك في امتحان

الطلبة لتعطيهم الشهادة المؤذنة لهم بممارسة فنهم (١٨٩٨) ولا بد من التنويه بفضل مسيو پول كامبون سفير فرنسة في الاستانة وهو الرجل الذي خدم بلاده خدمات جلى بسموّ مداركه وحكمة مسلكه.

عرض الاب كاتن فكرته على روءسائه فاستصوبوها وتقرَّر ان تبني الرهبانية اليسوعية المكتب الطبي على الطراز الجديد، بشرط ان تأخذ الحكومة الفرنسية على نفسها بناء المستشفى الذي يبقى ملكها، لكن ادارته تسلم الى ادارة المكتب الطبي. وللوقت ابتاع الاب كاتن الارض الفسيحة التي يقوم فيها الان المكتب الحديث، وسافر الى فرنسة يسعى للحصول اولًا على زيادة المال المخصص من الحكومة راتباً للاساتذة لان عددهم اصبح غير كافٍ، ثمَّ وصولًا الى المال اللازم لبناء المستشفى سواء كان بطريقة رسمية او باكتتاب وطني يشترك فيه جميع الفرنسيين، لان العمل عمل افرنسي يتوقَّف على ثباته ونجاحه نفوذ فرنسة وسمعتها.

طالعت في مذكرات الاب كاتن تفاصيل جهاده، فادهشني ثباته ورباطة جأشه تارةً يبرق له الامل وتارة يمثل امامه شبح الفشل. لكنهُ لم يقنط قط وقد وضع اتكاله على القديس يوسف شفيعه المشفع ومحامي الكلية بكل اجزائها. وقد رأيت في سيرة حياته ان اغلب اعماله قد تكللت بالنجاح في شهر القديس يوسف. والحق يقال ان القديس يوسف سهّل طرقه في ايام كانت الحكومة الفرنسية في ايدي رجال عُرفوا بمناهضتهم للاكليروس، لكنَّ الله الذي سخَّر غامبتا لان يتفق مع الاب نورمان على بناء المكتب الطبي، حمل رجال ذلك العهد على تشجيع الاب كاتن ومدّ يد المساعدة الى مشروعه.

سافر الى باريس مراتٍ لينجز عمله فنال زيادة المرتبات وتوفق الى ادماجها في موازنة الحكومة، ثم تعرَّف الى رهط من القوم الكرام لم يبخلوا عليه بمساعدتهم الادبية والمادية، وها اني ذاكرٌ اخصَّ من ذكرهم: اولهم مسيو سينار رئيس لجنة جمعية اسية الفرنسية؛ مسيو روبر ده كه امين سرها ومحرر مجلتها؛ مسيو اندره تارديو رئيس تحرير جريدة «الطان» اذ ذاك الذي تحمّس لمشروع الاب كاتن تحمساً شديداً، فكان اول من كتب مقالة ممتعة في «الطان» بهذا الشأن

فنقلها اغلب الصحف الكبرى في باريس والولايات ؛ الاستاذ بلانشار وعموم الاطباء اعضاء اللجان الفاحصة ؛ مسيو ڤيكتور برار الذي القى عدة محاضرات بليغة كان لها الوقع الحسن. ثم جمعيات غير هذه اتفقت معاً على فتح الاكتتاب الوطني الذي جمع مبلغاً من المال لا يستهان به غير انه لم يكن كافياً ، فسعى الاب كاتن لدى اللجان المختلفة المكلفة توزيع بعض الاموال في الحكومة فنال منها قسطاً وافراً ايضاً .

عند ذاك رجع الى بيروت واهتم باعداد حفلة وضع الحجر الاول من البناية الجديدة وتبريكه ، فتمّ ذلك في ١١ ت ٢ ١٩١١ برئاسة مسيو كوجه ، ممثل الحكومة الفرنسية وضباط الطراد غامبتا ، والرؤساء الروحيين يتقدمهم نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني . وقد وضع تصميم البناية الاب يوسف مَتِرن المهندس المشهور بالاتفاق مع الاب كاتن الذي كان يبدي آراء صائبة في مواضيع مختلفة منها تشييد كل من معاهد المكتب مستقلاً عن الآخر .

وفي ١٩ ت٢ ١٩١٢ ، اي سنة بعد الشروع بالعمل ، دُشّن المكتب الجديد في حفلة حافلة اشترك فيها مع ممثل فرنسة والاميرال دارتيج دي فورنه ، القاصد الرسولي وبطريرك السريان ومطارنة الطوائف الكاثوليكية ، والاب شانتور رئيس اقليم ليون آنذاك ، ورهط من رجال الدين والدنيا وتلاميذ الكلية .

وفي حفلتي وضع الحجر الاول والتدشين أُلقيت الخطب الممتعة ، اقتطف ما قيل فيها عن الاب كاتن : قال مسيو كوجه في ١١ ت٢ ١٩١١ ذاكراً ان الحكومة الفرنسية قلدت الاب كاتن وسام جوقة الشرف من رتبة فارس : « ان صليب جوقة الشرف لم يوضع قط في غير محله . لكني لا اخشى ان اقول انه لم يعلق على صدر اكثر استحقاقاً من صدر الاب كاتن . اذا ابلت كتيبة البلاء الحسن في القتال زُينت رايتها بالوسام ، فالاب كاتن هو راية المكتب الطبي الفرنسي المجيدة . »

وفي حفلة ١٩ ت٢ ١٩١٢ قال نيافة القاصد الرسولي : « ان هذا المكتب ظهر للوجود كامل التجهيزات كما برزت ميترفة إلهة الحكمة كاملة العدة من

رأس المشتري.» وزاد الاستاذ ده لاپرسون رئيس اللجنة الفاحصة : « ان الاب كاتن يشبه موسى الكليم ضرب صخرة بيروت بعصاه السحرية فاخرج منها ينبوع العلم التي يرمز اليها هذا المكتب الذي تمّ بناؤه في برهة احد عشر شهراً » وحيّا الدكتور الفرد خوري « الرجل الذي كان روح المكتب القديم ونبراسه » وقال: « اننا مدينون لك بما انك كنت لنا لا استاذاً يفيض من كنوز معارفه العلوم ويكشف لنا انواع الفنون ويشربنا دقائقه، بل كنت المعلم الذي لم يفرض علينا ان نعتقد اعتقاده بل احترم اعتقادنا وتوصّل بدون احتكاك او صرامة ان يلقّنا علم القلب واركان المحبة والشفقة والتجرد وجميع الخلال التي تؤلف قوّة الطبيب الادبية وتجعل الطب نوعاً من الكهنوت، المعلم هو الذي يسمو بنفوسنا الى مستوى نفسه فيوحي اليها ان تشاركه في ايمانه وامانيه بل يرجب عليها ذلك بقوة نفوذه فيها وسلطته عليها.»

وكانت المجلات الفرنسية كما قلنا تناولت هذا الموضوع وذكرت الاب كاتن في معرض تلك المقالات، واطرأت مناقبه، من ذلك قول مسيو ڤيكتور بزار: « ان المكتب الطبي يديره رجل متفوّق هو الاب كاتن فانه ليس رجل علم فحسب، بل سياسي بارع متوقد الذهن كيّس المعشر والمعاطاة يسحر الالباب بلطفه وظرفه. هو سبب تقدم المكتب الطبي ونجاحه وها انه شرع بنشاطه المشهور في ادخال ما يقتضيه الفن من التغييرات والتكميلات في المكتب الذي تكرس لانجاحه.»

وكتبت مجلة «الصحافة الطبية»: « ان روح هذا المكتب هو الاب كاتن مديره منذ سنة ١٨٩٥، وهو الرجل الممتاز باقدامه ومقدرته الادارية ومضاء عزمه وجلده وثباته على العمل وتواصل سعيه. هو الذي رقّى المكتب في معارج الفلاح فجعله ما نراه الآن.»

وبعد ان تمّ للاب كاتن ما سعى اليه، رأى الرؤساء انه لا بد من ان ينصرف مدة الى الراحة فسلّموه خدمة جمهور الكلية الروحية والعناية بفئة الكبار الداخليين واخوية المتوسطين (١٩١٣ — ١٩١٤) وفي آب سنة ١٩١٤ اشتعلت نار الحرب الكونية فاضطر الاب ده مرتمبري رئيس المكتب الطبي ان

يغادره الى فرنسة فأعيد الاب كاتن الى عمله الاول بالوكالة ، وعُهد اليه بتدريس صف الفلسفة . لكن في ١٢ ت٢ تفرّق الاباء والتجأ الاب كاتن الى القصادة الرسولية وبقي فيها الى ان اتيح له ان يسافر الى ليون ، فوكلت اليه العناية بخدمة طلّاب الطب الروحية بمستشفى الصحة . وبعد عيد الفصح قصد الى باريس لترويج فكرة المطالبة بسورية وفلسطين . ثم عين رفيقاً للاب شانتور رئيس اقليم ليون (١٩١٥ — ١٩١٨) حتى عقدت المدنة بين فرنسة والمانية . عندئذٍ بادر الى الرجوع الى ميدان جهاده فوصل بيروت يوم عيد الميلاد ١٩١٨ . وفي اول كانون الثاني استلم ادارة الكلية من جديد .

يعلم الله فرح الاب كاتن لدن مشاهدته ارض لبنان العزيزة ، فانه لم يكن ليصدق ان هذه البلاد تتحرر وان امانيه تتحقق . ولكن منظر الخراب الذي حلّ بلبنان المخلص لفرنسة قد احزنه شديد الحزن فسعى جهده لتتميم اماني اللبنانيين باستقلالهم الذاتي ، ولا يجهل احد ما كان سعيه لدى المقامات جميعها لتعطف على لبنان وتخلصه من الجوع اولاً ، ثم من الحالة المريعة التي كانت الحرب قد اوصلته اليها . ويوم سافر البطريرك اللبناني الجليل الى باريس ليطالب باماني اللبنانيين ، كان الاب كاتن وتلاميذه القدماء في مقدمة المودعين فحملوا البطريرك على الاكتاف مظهرين تعلقهم به واحترامهم اياه وثقتهم بمساعيه .

وسنة ١٩٢٠ بلغ الاب كاتن السنة الخمسين من حياته الرهبانية فاحتفل بها احتفالاً عائلياً . ثم لمّا هدئت الاحوال واجتمع شمل التلاميذ القدماء قرّروا تأسيس كراسي مجانية لتهذيب ابناء رفاقهم الذين اصبحوا عاجزين عن القيام بهذا الواجب . فجاء عملهم مطابقاً لاحبّ رغائب الاب كاتن واشهاها . ثم ان الحكومة اللبنانية اقراراً بفضل الاب كاتن على هذه البلاد علقت على صدره الجليل مدالية الاستحقاق واليك ما جاء في الاسباب الداعية الى ذلك : « تكرّس الاب كاتن مدة تفوق الاربعين عاماً لتعليم الشبية اللبنانية وتهذيبها واستلم رئاسة الكلية والرسالة والمكتب الطبي . فكان اينما حلّ مثال التفاني وخدم البلاد خدمات جلّى . في اثناء الحرب الكبرى واصل خدماته لبلادنا لدى السلطات الفرنسية ، والرأي العام الفرنسي . »

ولما استلم الاب كاتن رئاسة المكتب الطبي بعد الحرب عاد يعالج فكرة انشاء المستشفى وكانت قد همدت . فسعى كعادته متوسلاً الى القديس يوسف فتوفق ، واراد الله ان يعزي قلبه فجرت حفلة تدشينه في عهده . ثم حين رأى الرؤساء ان قواه الجسدية آخذة بالانحطاط بسرعة ، مع بقاء سلامة عقله المتوقد وقلبه الذي لم تؤثر فيه الشيخوخة ، احالوه الى الراحة . واليك بعض ما جاء في كتاب الجنرال ڤيغان الحاوي اجازة الاب كاتن بصفته رئيس المكتب الطبي (٣٠ ت ١ ١٩٢٣) : «ان الاب كاتن بصفته رئيس الكلية والرسالة والمكتب الطبي قد اظهر في الوظائف العالية التي شغلها مقدار صفاته العالية وعنايته بالتلاميذ والطلبة الذين أثر فيهم تأثيراً شديداً ، واسمه سيبقى مقروناً بنوع خاص باسم هذا المكتب الذي يبرحه اليوم مثقلاً اياه بدين تفانيه المتواصل ونموه العظيم المتمم بالمستشفى الفرنسي المنشأ حديثاً . واني لاغتبط ان يرى الاب كاتن رقي هذه المؤسسة اكليل مساعيه الثمينة .»

على ان الاجازة التي نالها الاب كاتن لم تعد اليه قواه ، فوكل اليه الرؤساء امر الاهتمام بشؤون الاخوة المبتدئين في كلية القديس يوسف وبعد سنة عينوه رئيساً لدير تعنايل ليستريح فيه ، محولاً افكاره عن الاشغال العقلية مكتفياً بملاحظة اعمال الحراثة معتنياً بالاشجار والثمار والبقول وبمناظرة مدرسة المعلمين .

وفي سنته الاخيرة اتى بيروت فقابلته وسألته عن صحته فقال : «ان القلب قوي لكن الاعضاء لم تعد صالحة لخدمته .» ثم اشار الى السماء وقال : «هناك الراحة . » والحق يقال ان حالته لم تكن خافية عليه ، ولا حاول ان يخدع نفسه ، بل ازداد استعداداً لملاقاة ربه وتجرداً عن العالم وعن كل ما كان يمكن ان يبعده عن الله تعالى .

شاءت العناية ان تعزي قلب الخادم الامين في يومه الاخير فقيضت له ان يلتف حوله قبل مغادرته ميدان جهاده المجيد ممثلو تلك الشبيبة التي افنى انضر سنيه بحبها وخدمتها وتهيئتها للنهوض بالوطن عن اقوم الطرق واسدها ، مهذباً اخلاقها ، منيراً عقولها ، مالئاً قلوبها من العواطف النبيلة لتعطي ثمارها الشهية في

حينها · وممثلو تلك الشبيبة هم اعضاء النادي الكاثوليكي ، ابناء العذراء مريم ، الذين اتوا معبد سيدة التعزية يطلبون شفاعتها · فابتهج قلبه بهم وسر لرؤيته حوله بعض اصدقائه القدماء كالفيكونت روبرده كه وابن الكونت ده سرسي وغيرهما. ففاض قلب الاب وتدفقت عواطفه كالسيل فتقطعت الربط اللطيفة الدقيقة التي كانت تربط نفسه بجسده الفاني المنهوك القوى ، فطارت الى السماء في جوّ صافٍ هادئ دون ما عذاب ، كما كان يشتهي ويطلب من الله لئلا يكون سبب انزعاج لاخوته. وكان قبل وفاته ببضع ساعات استحلف تلك الشبيبة ان لا يتخلف احد منها عن الموعد الذي ضربه لهم في السماء لبعد العمر الطويل المملوء اعمالاً طيّبة مفيدة لهم ولبلادهم · على ان يسمعوا نداءه الاخير ويوفّقوا بين حياتهم وارشاداته ، فيلتفوا حوله في المجد الابدي كما احاطوا به على الارض في حياته وعند مماته·

وما انتشر نعي الاب كاتّن حتى عمّ الحزن جميع البلاد ، ووردت التعازي من كل فج وصوب واوقف المجلس النيابي اللبناني جلسته حداداً·

نقل جثمان الاب كاتّن الى بيروت حتى لا يعاني اصدقاؤه الكثيرو العدد

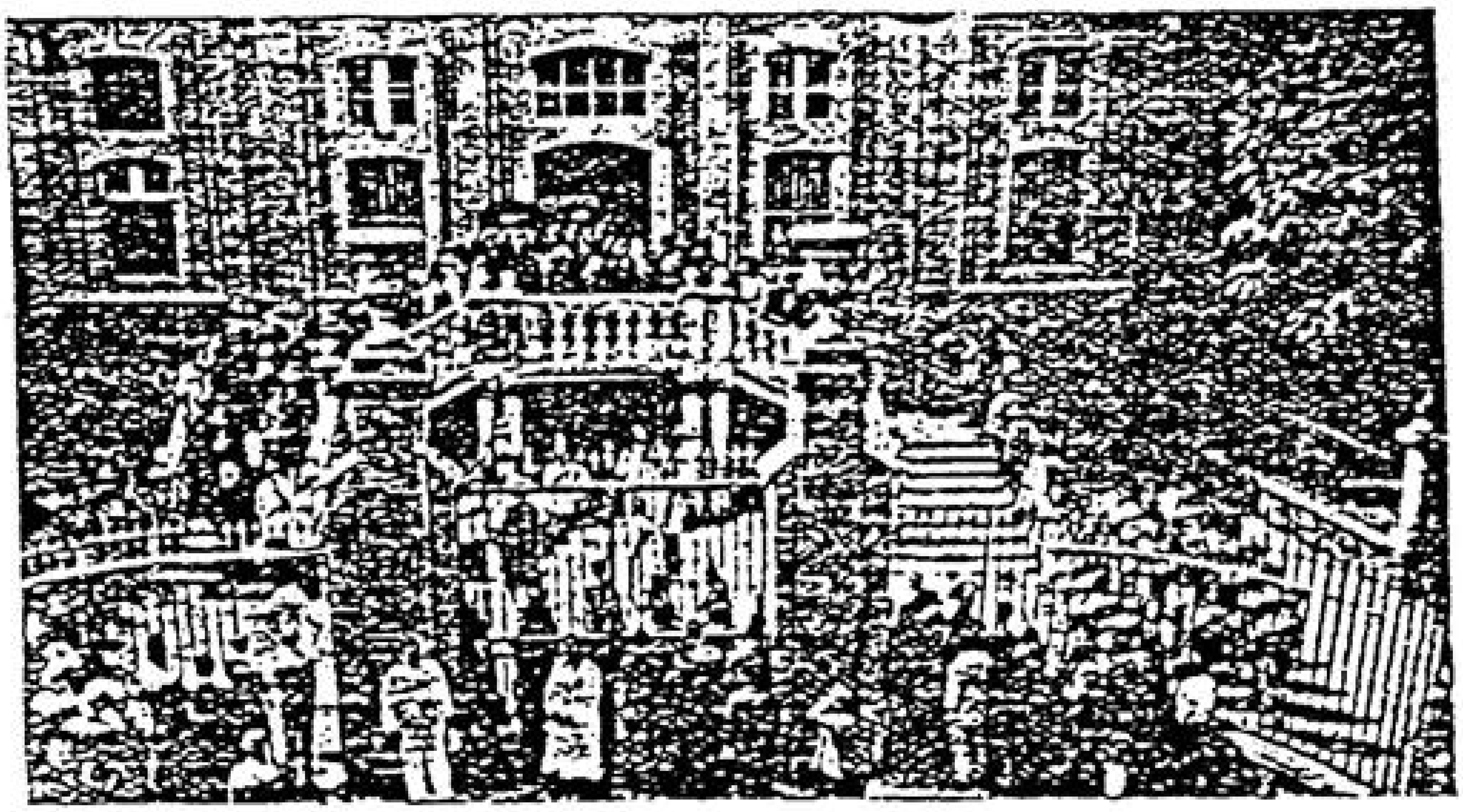

صورة نعش الاب كاتّن محمولاً على الاكف ، بعد حفلة الجنّاز

مشقّة السفر الى تعنايل · وبعد الصلوة عليه في معبد الكلية في محفل حافل اشترك فيه سبعة اساقفة ، وممثلو الرهبانيّات ، ورئيس الجمهوريّة اللبنانية ، وممثل

المفوض السامي ، ومجلس الوزراء ، وعدد عديد من النواب ودور العلم والجمعيات على اختلافها ، دفن باكرام في لحد الكلية الخاص بين المبرات. ورغم الحاح الآباء بان لا ترسل اكلة وازاهر جيء بعدد منها من قبل الوزارات وجمعيات الاطباء والصيادلة والمحامين.

وقد أبنه الاب شانتور رئيس الرسالة بكلام بليغ موثر وفاه به حقه من الوصف كراهب ، ورئيس ، ورجل ادارة ، وقائد نفوس.

ونختم بفقرات وجيزة من كتابي صاحبي الغبطة بطريرك الموارنة وبطريرك الروم الكاثوليك. قال الاول: « تلقيت بملء الاسف وشديد التأثر نعي الصديق الحميم والرسول العظيم ... ان الخسارة التي اصابت الرهبانية اليسوعية قد اصابتني فانها فقدت به افضل ابنائها ، اما انا ففقدتُ اشدّ اصدقائي اخلاصاً ووفاء ... خسارة البلاد به عظيمة جداً لان الاب كاتن كان ذا قلب كبير خبرتْ البلاد حسناته وغيرته الرسولية وعقل متسامٍ ارسل عليها انواره ... اننا مدينون له بنخبة قومنا ... لم ينقطع حتى آخر نسمة من حياته عن التعليم مبشِّراً بالحقائق ونافخاً حبَّ الوطن والمبادئ السامية ... فباسمي وباسم هيئة المطارين الموارنة اعرب لكم ولسائر جمهور الآباء عن تعازينا القلبية سائلاً المولى ان يجزل ثواب الفقيد العزيز ويلهمكم جميل الصبر على فقده ويجمل الرهبانية اليسوعية ابداً منبت رسل الكنيسة وجنودها »

وقال الثاني : « ان الاب كاتن المأسوف عليه كان رجل العلم والجد الذي وصفه السيد المسيح قائلاً انه يخرج من ذخائره جدداً وقدماً ... كم من الرجال العظام هيَّأ لبلادنا بتأثير مثله وقوة عارضته وكبير نفوذه في النفوس... ان خسارة الاب كاتن خسارة وطنيَّة حقاً اصابت لبنان وسورية. »

واخيراً اقول مع الاب شانتور انه حيثما كان يمرّ الاب كاتن كان يخيَّل ان كليَّة القديس يوسف ، ان لبنان ، ان سورية تمرّ متجسّمة فيه. » سقط على وجهه في الميدان بعد ان « ملأ كل الشرق الادنى بمآتيه المدهشة وشخصيته البارزة. ويحق للبنان ان يقول مع امين جمعية التلاميذ القدماء الاسبق السيّد اميل خاشو: ان محيّا الاب وحياته وعمله اصبحت من تراث الاجداد المجيد. جزاه الله عداد مبراته.

قلب الاب كاتن

« ... ولكن اريد ان تعرفوا ان في هذا الجسم الهرم عضواً لم يهرم ، ولا يقدر بل لا يعرف ان يهرم ، الا وهو قلب الاب كاتن ... »

(من كلمات الفقيد الاخيرة)

اجل ! لقد شاهدناه لآخر مرة في تعنايل ، قبل ان يترك هذا العالم ببضع ساعات ! ...

شاهدناه بخطاه المتثاقلة ، بلحيته المؤاجة البيضاء ، بجفونه المثقلة ، بمنظره المهيب الجليل . شاهدنا ذاك «الجسم الهرم» !

ولكننا شاهدناه ايضاً بابتساماته العذبة الدافعة الى الاخلاص والاطمئنان . شاهدناه بعينيه ، اللتين لجأت اليهما الحياة فلمعتا بنور الحياة ، تفتشان في عيوننا عن آثار حياتنا المدرسية الماضية ، وقد حفها الزمان بحوادثه وجللها التذكار بوقاره . شاهدناه بصوته المتهدج ، ونبراته المتقطعة ، وكلماته التي كانت ترجمها العواطف فتدفعها متأثرة ، مؤثرة . شاهدنا ذاك القلب الذي « لم يهرم ، ولا يقدر بل لا يعرف ان يهرم ! »

شعرنا بقلب كبير ينبض فتوّة في صدر ضغطت عليه السنون فاثقلته ، ويتحرك حياة في جسد اتعبته الاماني فقادته الى الفناء ، ويذوب غيرةً وتضحية في سبيل من احبهم واحبوه ...

احبّ الاب كاتن تلاميذه العديدين صغارًا وكبارًا ، فتياناً وكهولاً . فجعل لهم جميعاً ، ولكل واحد منهم ، مركزًا خاصاً في قلبه لم تكن كرور السنين وتقلبات الاحوال الا لتزيده تأصلاً وخلوصاً . فكان لهم ، انى اتجهوا ومها علوا ، صديقاً صدوقاً ، ومرشدًا حكيماً ، يتنسَّم اخبارهم باهتمام الاب الشفيق ، ويرعاهم بعين الام الحنون .

كم من قلبِ صغيرٍ هالته الواجبات المدرسية ، فجعّدت جبينَه النضر همومُ الدرس ، وقرّح جفونَه اللطيفة خوفُ القصاص ، دعاه الى قلبه الرقيق فنشّف دموعه ، وازال همومه ، وهوّن عليه صعوباته ، وردّه فرحاً جزلاً الى واجباته !

كم من قلبِ فتيّ زاغ عن جادّة الصواب ، فتاه بين زوابع العصر وعواصف العالم ، حتى تذكر ان له قلباً لا يزال يحبه وينتظره ، فرجع تائباً يحتسي من ذاك الينبوع الصافي المغفرة ، والطمأنينة ، والسلام !

كم من قلبِ كهلٍ صدمه الدهر بكل ما في صروفه من صلابة وقساوة ، فاثخنه ؛ ثم تابع عليه مصائبه فزلزل اركانه ، وضعضع آماله ، وسدّ في وجهه ابواب الخلاص . حتى لم يجد المسكين ملجأً الا قرب ذاك الاب الذي احبّه صغيرًا ، وارشده فتى ، واستقبله كهلاً ، فانعش فيه ميت الامل ، وردّ اليه قوة الحياة ، فرجع الى الميدان مسلّحاً ، وعارك ظافرًا !

كم من قلبِ شيخٍ خصه القضاء برزاياه ، وحاقته الحياة ببلاياها ، فنغصت عليه ما تبقى له من الايام . فنظر الى قبره ، وقد اظلمه الاسى ، فارتاع ؛ وكاد يستسلم الى اليأس . لولا ان تداركه ذاك القلب النيّر فبدّد مخاوفه ، واحكم تعزيته ، ونوّر امامه طريق القبر ، فسار اليه مطمئناً ، واستقبل الموت صابرًا !

هؤلاء الصغار ، والفتيان ، والكهول ، والشيوخ ، كانوا ماثلين على مائدة تعنايل باشخاص الستين عضوًا من نادي الشبيبة الكاثوليكية الذين شاؤوا ان يحيّوا اباهم في مقرّ راحته ، فساروا اليه يوم الاحد ٢٦ ايار ؛ وشاءت العناية الالهية ان تكون تحيتهم وداعاً لذاك الشيخ الجليل . . .

رأى الاب هذا الجمع من اعزّائه يحفّونه بالعناية فتأثر ، ورأى وراء هؤلاء الستين ، المئات بل الالوف من ابنائه المتفرّقين في جميع انحاء الشرق العربي ،

فاحسّ بعواطفهم جميعاً تتلمس السبيل الى قلبه الكبير الطافح ، فلم يتمالك ذرف دموع الفرح. وكأنه علم « ان ساعته قد اتت لينتقل من هذا العالم الى الآخر . وكان قد احبّ خاصته ... احبهم الى الغاية » فلم يتمالك التعبير عن شعوره. فلفظ ، بين التصفيق الحادّ والهتاف المتواصل ، كلمات نبوية كانت آخر ما لفظه ذاك اللسان ، وآخر ما عبّر عن ذاك القلب . وهي تظهر لنا الآن بكل ما فيها من رقة وحنوّ تحفها روعة الموقف ، وعظمة الموت . فهي خطبة وداع على باب القبر ، وكلمة موعد قريب في ديار الخلود:

«لقد اوليتموني بمجيئكم الى هذا المنزل سروراً عميقاً طبيعياً ، لانه ليس من شيء. الذّ به اكثر من ان استقبلكم في نهاية حياتي. لقد عرفتكم جميعاً ؛ بل رأيت ، عندما نظرت اليكم ، جميع رفقائكم وسابقيكم ، جميع تلاميذي القدماء الاعزاء الذين توالوا اعواماً متتابعة ولم انس احداً منهم ... على ان اجتماعنا هذا قد يكون آخر اجتماع ... فها انا قد صرت شيخاً هرماً ضعيفاً ، ولم يبق لي الا القليل ... ولكن اريد ان تعرفوا ان في هذا الجسم الهرم ، عضواً لم يهرم ، ولا يقدر بل لا يعرف ان يهرم ، الا وهو قلب الاب كاتن . انا اشعر باني سافارقكم عما قليل .. ولكن لي الامل الوطيد باننا سنجتمع بعد اليوم في عالم خير من هذا ، في عالم لا نعرف فيه النقصان... واني انتظركم هناك واثقاً ، اميناً في حبكم. فالى الملتقى ، يا ابنائي الاعزاء ! الى الملتقى ، واحذروا ان يتخلف احد منكم عن الموعد ! »

ثم خرج في عاصفة من الهتاف تتدافعه التأثرات العميقة ، وتتصادمه العواطف الشديدة ، حتى لم يقوَ عليها ، فانفجر القلب ، وتهافت الجسم !

وهذا مصير القلوب الكبيرة . تحبّ ، وتعمل ، وتتأثر ، فتتغذّى وتغذي غيرها بالعواطف السامية الى ان تذوب في سبيل الغير ، فتسكن !

اما تلك النفس النيّرة فعادت الى مصدرها من منبع النور السماوي !

واما ذاك الجسم التعب فرجع يستريح في مقرّه من التراب !

واما ذاك القلب ، الذي نبض طول حياته في سبيل انعاش القلوب ، فهو حيّ بحياة القلوب !

فؤاد افرام البستاني

احوال سورية الحاضرة
الكنيسة القبطية الارثوذكسية

للاب توتل اليسوعي

احوال سورية الحاضرة

نشرت جامعة كونيسبرغ الالمانية في كراسها الرابع (١٩٣٩ وجه ٥٦) المخصص لمسائل الشرق الادنى مقالاً بتوقيع ماكس لوهر عنوانه: «سورية وفلسطين في الزمان الغابر والحاضر» عرفت فيه قرّاءها الالمان بموقع بلادنا الجغرافي، واهميتها الدولية منذ العصور القديمة. وتناولت العصور الحديثة، فتكلمت عن الصهيونية في فلسطين وعن سياسة فرنسة في بلادنا. ثم قالت:

الحرير والقطن هما من اهم محصولات سورية. والحرير باكثره يُرسل الى ليون وقد بلغت ارباح الصادرات السورية سنة ١٩٢٧، ٥٤٩ مليون فرنك ذلك اخذاً عن الاحصاءات الرسمية، ومن غير ما يحسب الداخل من وجوه التهريب

واجتهدت فرنسة في انتاج القطن السوري بكثرة لتسدّ به حاجاتها الصناعية. فلم تبخل، حتى الان، بتقدمة الاسعافات المادية لتشجيع وانماء محاصيل الحرير والقطن. ومما يلفت النظر في يومنا كما كان ذلك في القدم هو ان حركة المواصلات تسير سيراً حثيثاً يوماً فيوماً. ان البضاعة الاوربية تحطّ في اسكندرونة او في بيروت ومن ثمّ تحمل على السيارات الى شرقي الاردن او الى العراق، ومصادر تلك البضاعة هي خاصةً انكلترة وفرنسة وايطالية. كانت سوق المانية رائجة، ولكنها جمدت ووقفت في ايام الحرب، مَثل ذلك ان الجرابات سابقاً كانت تصدر كلها تقريباً من مدينة شمنيتز، فاصبح اليوم معظمها يفد الى سورية من ايطالية. على ان دخول المانية جمعية الامم يمكنها من مجاراة سائر الامم في البيع والشراء في السوق السورية. ولكن منزلتها الى اليوم لا تزال هناك

في الدرجة السادسة . والعلاقات القنصلية والحركة البحرية هي بالنسبة الى ما كانت عليه قبل الحرب اقلّ من ان نطالب بزيادة حركة التصدير من المانية . وقد شاع اخيراً امكان تخلي فرنسة عن سورية لايطالية ، فكان كلام بوانكاره في هذا السبيل مما لا مرد عليه . وقد بلغت الصادرات من فرنسة الى سورية عام ١٩٢٧ ، ١٩٦ مليون فرنك . وعلق الاتراك على موقف بوانكاره اهمية كبيرة لان الحدود بينهم وبين سورية الشمالية باب مفتوح ولا يرضى الاتراك ان يروا هناك الايطاليان على ما يعهد فيهم من رغائب الفتح والانتشار .

اما الحياة الفكرية فلا نذكرها الا ويتوارد على شفاهنا اسم بيروت مدينة المدارس . هناك المعاهد الاميركية والافرنسية وبين الافرنسية الكلية اليسوعية مع معهدها الطبي واللاهوتي والشرقي ، فهي بازدهار فائق ، ونفوذ يشع ما وراء دائرتها على من هم بعيدون عنها .

الكنيسة القبطية الارثوذكسية

عن مجلة صدى الشرق الافرنسية باختصار (١٩٢٩ ، وجه ٢٢٣)

حول الانتخاب البطريركي — في ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٨ اجتمعت اللجنة لقانون الانتخاب تحت رئاسة الانبا يوانس . ثم عين مجلس الاساقفة لجنة لوضع لائحة اسماء المترشحين للبطريركية . وما عتم ان وضع المجلس الملي من جهة قانوناً يرفعه الى الحكومة آملاً ان ينال رضاها عليه في ان ينتخب البطريرك من جمهور المؤمنين ، ان لم يوجد في مصاف الاكليروس من له الكفاءة لهذه الوظيفة . فاحتج الاساقفة على المجلس الملي لدى الحكومة . واحتج المجلس الملي من جهته ايضاً لدى الحكومة طالباً عزل النائب البطريركي الذي عيّنه الاساقفة ، لانه : ١ً لم يساعد المجلس الملي على الاصلاح . ٢ً رقى الى مصاف الاكليروس رجالاً معروفين بحبهم للمال . ٣ً ضعضع احوال الكنيسة . ٤ً حال دون ارسال شبان يتعلمون اللاهوت في انكلترة . ٥ً وضع يده على الاوقاف . ٦ً سعى في سبيل ارتقاء الكرسي البطريركي من غير رضى المجلس الملي .

اما الحكومة فماطلت واطالت مدة وظيفة النائب اربعة اشهر . على ان

الاقباط اتفقوا اخيراً . وفي ١٠ تشرين الثاني صالح رجال الاكليروس المجلس الملي على مراعاة مطالبه في امور الوقف وانصرفت الهمم من ثمّ الى انتخاب البطريرك .

في ٢ كانون الاول ، ظهر القرار الملوكي وفيه لائحة الناخبين . ١ً الاساقفة ورؤساء الاديرة . ٢ً اعضاء المجلس الملي الاربعة والعشرون . ٣ً الاعيان وقد عينهم الملك وعددهم ٤٨ . فلم يحضر جلسة الانتخاب الا ٨٥ من مجموع الناخبين ، وحاول بعض الشبان عبثاً التظاهر حول المجلس ، فان رئيس دائرة البوليس كان واقفاً هناك باربعة وستين من رجاله .

فكانت نتيجة الانتخاب ان الانبا يوانس نال ٧٠ صوتاً ، فوافق الملك على انتخابه ورقي العرش البطريركي في ١٦ كانون الاول .

ولد البطريرك الجديد بالقرب من اسيوط سنة ١٨٥٧ . ودخل دير البرموس في البحيرة ، في السنة الثالثة عشرة من عمره ، وسيم كاهناً في السنة التاسعة عشرة واقيم رئيساً على الدير وهو ابن عشرين سنة . وفي العام ١٨٨٧ رسمه البطريرك كيرلس الخامس اسقفاً على البحيرة والمنوفية ، وكان مقامه الاسكندرية . واعرب البطريرك الجديد عن ارادته بالعناية الخاصة في تهذيب شبان الاكليروس ، وبتوقية خطر البروتستانت وميله الى الكثلكة والشاهد على صدق قولنا ما رواه البشير (٣٩٥٠) عن البطريرك . قال غبطته لاحد زواره :

بين عقائدنا وعقائد البروتستنط بون شاسع . وقد اتاني منذ ايام بعض هؤلاء من الاميركيين والانكليز وكلموني بشأن ايجاد سبيل للاتحاد بيننا وبينهم فقلت لهم : « انكم معشر البروتستنط تعدون مائتين وتسعين شيعة . فابدأوا اولا وحققوا الاتحاد فيما بينكم وبعدئذ تأتون الينا فنتكلم عن الاتحاد » .

ثم اردف غبطته بقوله : « لقد سررنا غاية السرور لاعتراف ايطالية باستقلال الحبر الاعظم . وان هذا الانتصار له مجلبة للفرح لعموم المسيحيين في الدنيا كلها » .

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل التاسع

مصاب جديد (تابع)

— وبعد ان القى الامير ذاك النداء ، ركض جواده هاجماً على صاحب العلم فارداه بضربة واحدة . فتراجع عند ذاك حماة العلم اذ رأوه يهوي الى الحضيض . فحاول المنلا اسماعيل ارجاعهم عبثاً ، واذ رأى موج عسكرنا الزاحف لا يرده حاجز ولا توقفه عقبة ، اختار الحياة على العز فاوى عنان جواد ، واطلقه في ذاك المرج الفسيح . اما الامير فكان فؤاده يغلي حنقاً على المنلا اسماعيل لما ظهر من خيانته في تركه نصرة رجال الجزار وانصرافه الى خدمة عبد الله باشا ، ولم يشأ له النجاة فاسرع على اثره ونحن وراءه . ولكننا في سرعتنا تلك لم ننتبه الى رجل من العدو كان مختبئاً وراء صخرة مصوّباً بندقيته الى رأس الامير جهجاه ، حتى اذا قرب منه اطلقها وهرب .

فاخترقت الرصاصة الكوفية ، واذا بذاك الرأس المحبوب ينقلب الى الوراء . فتلقيناه على صدورنا وارجعناه الى المعسكر ، فغسلنا الجرح البليغ وضمدناه على قدر الامكان ، وحملنا الامير الى بعذران . فعاش يوماً واحداً استعاد صوابه بضع ساعات في اثنائه . فاوصى الست سعدى بيدور وبك ، وترك لكما كل امواله بعد ان برأ ذمة الامير بشير مما له عليه من المال . واوصى لكنيسة

الضيعة وللفقراء بعشرة اكياس. ثم ودّعنا واوصانا جميعاً بالصبر، والانصراف الى ما به خير البلاد. وتوفي وفاة القديسين بين يدي الخوري يوسف.

وفي اليوم الثاني اقيمت له مناحة لم اشهد مثلها في حياتي. ولا اقوى على ان اصفها لك...

وكانت العبرات قد استبقت الى عيني فرحات فمنعته عن متابعة الحديث. واجابتها عبرات غانم، فصرفا عدة دقائق لا يسمع بينهما الا اصوات التشيج. حتى تجلد غانم فقال:

— والقاتل ؟

— قبض عليه في الليلة نفسها في وادي المجدل، وكان رجلاً من النكدية. فقتل حالاً مع كل من وقع في ايدي رجالنا من العسكر. ولمّا لم يشفوا غليلهم من الاعداء، مرّوا على قرية البترونة، في الزبداني، فأحرقوها بكاملها، وعادوا الى قب الياس، فالى بعذران وكلهم يترحم على الامير جهجاه.

واذ عرف الامير بشير ان قاتل الامير جهجاه احد رجال النكدية، وكان صدره يتدفق حقداً عليهم لما اظهروه من اساليب الخداع، وانواع العداوة له، اقسم، في مناحة الامير جهجاه، بالله العظيم وبتربة الفقيد الكبير، انه يقتل خمسة عشر شيخاً من النكدية.

فحنى غانم رأسه متأسفاً، وقلب شفتيه يائساً، وقال بصوت يكاد يكون لهاثاً:

— وما نفعُ الانتقام ؟...

وبعد فترة سكون لم يجسر فرحات على قطعها، تحوّل غانم الى احدى زوايا غرفته، فاخرج من صندوق قديم ربعَ ورق، وقلماً، ودواةً مستطيلة. وشرع يخطّ كتاب تعزية الى بدور. فلم يقوَ الّا على كتابة ثلاثة اسطر ضمّنها، بكل بساطة، بعض ما يشعر به من الأسى الضارب الى اليأس، ومن الحزن الذي لا يخففه سلوان. فكانت كلماته اشبه بلوعة النعي منها ببلسم التعزية. ثم ناول المكتوب فرحات وتمتم:

— الى الاسبوع القادم !

فودّعه هذا قائلاً :

— ان شاء الله !

***

مرّت ساعات طويلة على غانم وهو في جلسته لا يتقلقل ، حيناً يهوي برأسه على مسند الديوان ، وحيناً يحمله بين يديه . وافكاره ثائرة مضطربة كالامواج المتلاطمة تحت اسوار القلعة تُسمع زفيرها الهائج من خلال النوافذ ؛ وخواطره متشعّبة متكسّرة كالبروق في الليلة العاصفة تنشب من الافق الى الافق فلا تلبث ان تتقطّع وتتلاشى في طيّات الغيوم . تارة يفزع الى ما تركته المصائب في قلبه من تشبّث بالحياة ورغبة في مغالبة الدهر ، فيسكن الى الامل بفرج قريب ؛ وطوراً يحدّق الى الخطب فتتجلى له الرزية بكل ما فيها من هول وروعة ، فتضمحل آماله ويستسلم الى اليأس . يذكر حيناً تلك الأويقات التي كان يصرفها في حمى جدّه العزيز ، او يقضيها في صحبة عمه الامير جهجاه ، او في محادثة بدور المملوءة غبطة وسروراً ، فينبسط جبينه المتجعد قبل الاوان ، ويفترّ ثغره الذي ختمته الاحزان بزارة الاسى ، ويلمع في عينيه الجامدتين قبس الحياة . ولكن سرعان ما كانت تظهر الحقيقة فتبدد اوهام ذاك الخيال ، كما تتبدد قطع الغمام اذ تنفخ فيها هوج الرياح فتذرّها هباء منثوراً . فينتبه واذا بجدّه المحبوب مضطجع في ضريحه ، واذا بعمه العزيز مضرّج بدمه ، واذا ببدور سابحة بدموعها ، واذا بتلك الايام السعيدة تمرّ سراعاً وتبدل بها ايام التعاسة والشقاء .

ساعات طويلة مرّت عليه وهو في تلك الحال . فلم يشعر بالظلام يحتل غرفته ، وبالليل يجلبب كلّ شيء امام عينيه ، وبالنعاس يغلّف جفونه فيخفق برأسه على المسند . وكانت تلك الصدمات المتعددة قد انهكت منه ذاك الجسم الناحل ، واتعبت ذاك القلب الحساس ، فنام نوماً عميقاً تقطّعه الاحلام السوداء ، حتى نفذت اشعة الشمس خلال النوافذ ، فافاق يستعيد تذكارات اليوم السابق ويا لها تذكارات مؤلمة !

***

على ان في القلوب الكبيرة مستودعات من الصبر لا تفتح الّا في اشد المصائب ، وكنوزًا من التجلد لا تظهر قيمتها الغالية الّا في اهول الخطوب . وان في النفوس الكريمة عواطف تهيب بها آن الرزيئة فترفعها من حضيض الاستكانة الى اوج الأنفة ، فتبدو شامخة متمرّدة ، منصرفة عن اثارة الشفقة في قلوب الناس ، تفضّل ضبط الحزن القاتل في حنايا الضلوع على الظهور بمظهر الضعف وطلب التعزية .

هذا ما اهاب بغانم اذ انتبه لحالته في صباح اليوم الثاني . وزاده رغبة عن الشفقة انه غريب في ديار لا يهتمّ سكانها به ولا بما يصيبه . فانف من الذلّ للدهر ، وشمخ على الرزيئة ، فدفع الحزن الى اقصى قلبه ، وردّ الدمع الى ما وراء جفونه . وخرج يجول في سراي الباشا ، وعلى شفتيه ابتسامة ضئيلة ، وعلى محيّاه مظاهر عدم الاهتمام .

ولكنه لم يكن يخلو في المساء الى غرفته ، حتى تهيج به تلك التذكارات المؤلمة ، وقد ضبطها طول النهار ، فينفجر صدره بالأنّات المتواصلة ، وتتدفق اجفانه بالدموع المسترسلة . فيستسلم للحزن ، ويتحوّل ، بسريعة ردّ الفعل ، ذاك التجلّد الجبّاري الى ضعف صبياني لا يقوى معه على تهدئة عواطفه ، فيقضي الليل في البكاء والنحيب . . .

وكان ، في تلك الساعات المؤلمة ، يرقب رجوع فرحات عسى يحمل اليه ما يبرّد شيئاً من لوعاته ، فيلتهي مقدّرًا سير رسوله ساعةً فساعة ، حاسباً انه قد يكون ترك بعذران في ساعة كذا ، فوصل الى جزين في كذا ، فتركها في كذا وهبط مرج بسري . . . الى آخر ما هنالك من التقديرات التي لم تكن تصح غالباً ، فكان يراجعها مجدّدًا سائرًا مع فرحات بالفكر من ضيعة الى ضيعة ، ومن جبل الى واد ، حتى كانت تبلغ منه التخيلات مبلغاً عظيماً ، فيتصوّر احياناً ان فرحات قد وصل ، فيهم بان يفتح له الباب ، فلا يسمع سوى صوت الريح تصفر من خلال الاقفال ، وهدير الموج يتصاعد من وراء الجدران . فيعود يائساً الى مضجعه ، مراجعاً تقديراته السابقة .

***

ولبث غانم بعدَ الأيام حتى كان فجر اليوم السابع ، وهو يوم الموعد ، فقام باكرًا . ولم يجسر على الخروج مخافة ان يأتي فرحات فلا يراه ، فيتأخر عن سماع ما يعزّيه وينشطه . فظلّ في غرفته يحسب الساعات الطويلة دون جدوى ، حتى كان الاصيل فصار يعدّ الدقائق ، وقلبه ينبض لكل حركة يسمعها ، وعيناه ترفآن لكل شبح يتراءى لهما عن بعد ... ولكن كأن الاقدار شاءت معاكسة المسكين حتى في ابسط امانيه ، فانقضى ذاك النهار ، وانقضى ذاك الليل ، ولم يسمع حسًّا لفرحات .

وكذلك مرّ اليوم الثاني ، واليوم الثالث ، فالرابع ، فالخامس . وغانم يجدّد آماله كلّ صباح فيلاشيا المساء . الى ان مرّ اسبوعان ، واذا به يسمع جلبة ، قبيل الفجر الاول . وكان طول الانتظار قد ارهف سمعه ، وحدّد بصره ، فاطلّ من نافذته ، فرأى جيشًا من العساكر يدخل المدينة . فحدّق اليه فما لبث ان عرف ، من هيئة بعض جنوده وشاراتهم ، انه جيش الجزّار الذي ارسله لنصرة الامير بشير . فاستبشر اذ لم يعد يشكّ في قدوم فرحات .

ولم يخطئ ظنّه ، هذه المرّة ، فما مرّت دقائق حتى كان فرحات بين يديه . فصاح به ، والفرح يدافع الأسى في فؤاده :

— وكيف قوي قلبك على ان تتأخر اسبوعين ، وتتركني في هذه الحالة دون شفقة ولا رحمة ! لقد قنطت من قدومك حتى صممت على ان ارجعك عندما تصل ، لانه لم يبقَ لي حاجة اليكم ! ...

فتبسّم فرحات ابتسامة العطف ، وارخى جفونه ، ثم تناول يد ابن مولاه فقبّلها معتذرًا ، وقال :

— العفو يا سيدي ! لم يكن هذا التأخر بارادتي ، وانت اخبر بقلب فرحات . ولكنني أُجبرت على السير مع عسكر الجزّار ...

— وايّ معنى لقدوم هذا العسكر ؟

— معناه ان سيدنا الامير بشير قد انتصر نهائيًا فطهّر البلاد من المناوئين . وردّ الجيش الى الجزّار شاكرًا .

— واين مقرّ الامير الآن ؟

— في دير القمر . وقد دخلها بعد ان خضعت له البلاد جميعها . وارجع والي طرابلس عسكره مخذولاً من اميون .

— الحمد لله !

ثم التفت الى فرحات وقال بصوت خافت :

— اجلس وخبّرني بالتفصيل عن كل ما حدث . وقبل كل شيء ، كيف حال الست سعدى ؟ وبدور ؟

فامتثل فرحات . واخذ يفصّل حوادث قصر بعذران مُثنياً كل الثناء على همّة بدور ، وعلى تجلّدها الذي ادهش الجميع . فانها ظهرت بمظاهر الرجال تجاه تلك المصيبة الفادحة .

ثم اخرج كتاباً منها الى غانم . ففضّه هذا ، واذا فيه كثير من التشجيع على حمل المصيبة ، والتعزية عن مصاعب الاغتراب بالاتكال على الله والثقة بعنايته .

ولما انتهى من تلاوته التفت الى فرحات وقال :

— اخبرني بكل صراحة عن حالة الست سعدى . وان بدور لا تقول شيئاً صريحاً عنها .

— لا تزال الست سعدى طريحة الفراش . وقد أثّر فيها كثيراً مقتل الامير جهجاه ، ولم تظهر شيئاً من هذا التأثير شفقةً على ابنتها ، بل تجلّدت . وطال عليها العذاب فلم يقوَ جسمها الضعيف على حمل هذا المصاب العظيم ، فانحلّت قواها ، وبقيت نحو الاسبوع في حال غير مرضية . على انها تحسنت قليلاً في هذه المدة الاخيرة . ولكنني لا ارى هذا التحسن لمدّة طويلة . فلونها الترابي ، وحركاتها المضطربة ، ونظراتها الجامدة التي كثيراً ما تتيه عن محدّثها لا تطمئنني الى الصحة . وعلى كل فالأمل بالله يصنع ما يشاء !

فحنى غانم رأسه ، وقد هاله تراكم الرزايا . واطرق مفكراً بما عسى تكون مشيئة الله . ثم اجال عينيه حائراً ، ولم يجب .

(لها بقية)

شذرات

حاضرة الفاتيكان

وصفنا في عدد سبق (مشرق ايار ص ٣٥٦) الحالة السياسية في الدولة الجديدة المسمّاة «حاضرة الفاتيكان» التي اوجدتها معاهدة لاتران. ونفيد قرّاءنا الآن ان البرلمان الايطالي تناقش في المعاهدة وأقرّها، ثم وقّع عليها ملك ايطالية. وبهذه المناسبة ننشر، في الصفحة التالية، منظر الحاضرة المذكورة، بحدودها الجديدة، مذكّرين ان مساحتها تبلغ ٤٤ هكتاراً.

كنوز البحر الميت

قد يملق بذهن من يأخذون بضخامة الارقام المُلقاة جزافاً، ان في مياه البحر الميت املاحاً كنوزها لا تفنى وقيمتها لا تُقدَّر. وقد يجرّ الهوس بعضهم الى ايراد مئات الملايين بل الوفها كما يتضح مما يلي، فقد ذكروا ان في البحر المذكور من كلورور البوتاسيوم ٢,٠٠٠ مليون طنّ؛ ومن كلورور السوديوم ١٩,٩٠٠ مليون طنّ؛ ومن كلورور المنيزيوم ٢٢,٠٠٠ مليون طنّ. اما قيمة هذه الملايين المؤلّفة فلا تقل عن ١,٢٠٠ مليار دولار.

على ان الصعوبة ليست في تقدير هذه الكنوز بل في استخراجها. فهناك عقبة اولية وهي استخدام اليد العاملة. فان مناخ البحر الميت الحارّ، حيث لا يندر ان تبلغ الحرارة في الظلّ الخمسين درجة من ميزان سنتيغراد، لا يقوى على احتماله حتى الزنوج. ثم نرى صعوبة ثانية في كيفية نقل تلك الاملاح، اذا فرضنا امكان استخراجها. وقد توالت الاقتراحات في هذا الشأن وكلّها تكلّف نفقات باهظة تزيد في اسعار المواد المستخرجة. ومن هذه الاقتراحات ان تُنقل الاملاح الى القدس بواسطة سيارات الشحن. ومنها ان تُعبّد لاجل ذلك، طريق تجارية خاصة تمرّ بعربة، ثم تتّصل بسكة حديد الحجاز. ومنها ان تنشأ سكة حديد خاصة على ضفاف الاردنّ تنتهي في بيسان. ونحن ننتظر النتائج راجين ان يتحقّق شيء من هذه الآمال الكبيرة.

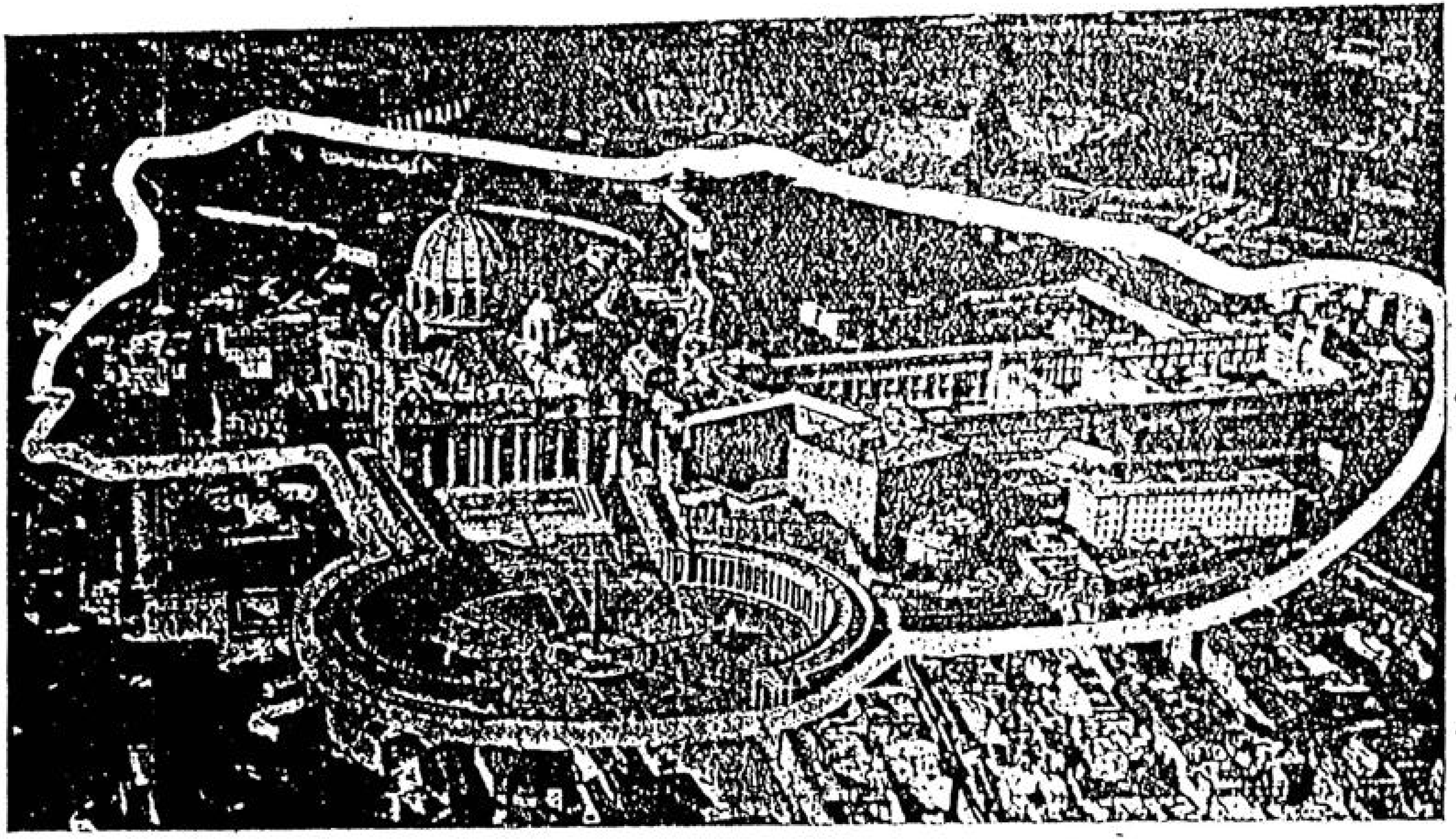

رسم « حاضرة الفاتيكان » بحدودها الجديدة

مطبوعات شرقية جديدة

Karl Baedeker : Italie centrale. Rome. *Manuel du voyageur. 15e édition refondue et mise à jour*, 1929, *avec* 28 *cartes*, 62 *plans et* 1 *planche reproduisant les armoiries des papes. Leipzig, K. Baedeker.*

روميّة وايطالية الوسطى

ظهر هذا الدليـل النفيس ، لاول مرة ، سنة ١٨٦٦ وقد كانت سلطة البابا الزمنية على وشك الاضمحلال . اما هذه الطبعة الجديدة ، وهي الخامسة عشرة ، فقد سبقت ببضعة اسابيع ، ارجاع تلك السلطة . وهو حادث سيذكر دون شك في الطبعة الآتية . فيصير التحوير اللازم في النصّ وفي الخرائط . وما عدا ذلك ، فالكتاب غاية في الاتقان من حيث المعلومات وترتيبها ، وهو يبدأ بمدينة بيزة . ويخصّ القسم الثاني كلّه بروميّة ، والثالث بضواحيها . وهناك امر ذو اهمية وهو ان لايطالية في الخارج مكاتب استخبارات رسمية توافي حكومتها بكل ما يهمها . ويرى المطالع في الصفحة ١٢ عناوين هذه المكاتب في فرنسة ، وبلجيكة ، وسويسرة ، واسبانية ؛ وفي الصفحة ١٥ يرى كل المعلومات الخاصّة بالنقليات سواء كان بواسطة السيارات او بواسطة الطيارات . وعلى الجملة فالكتاب اوضح دليل على تقدّم ايطالية في كل شيء . ج . ل .

ΒΑΣΙΛΕΙΑ ΤΟΥ ΘΕΟΥ Eine religionsgeschichtliche Studie zur Vorkirchlichen Eschatologie von **August Freiherrn von Gall** [*Religionswissenschaftliche Bibliothek* n° 7] *vol.* 8°, 491 *pp. Prix : M.* 27, 50. *Heidelberg, Carl Winter*, 1926.

بحث عن نظرية اليهود في ما وراء الحياة

يجمع هذا الكتاب نتائج احدث الابحاث عن نظرية اليهود في ما وراء الحياة ولاسيا ابحاث ريزنستين (Reizenstein) وليدزبَرسكي (Lidzbarski) في المندائية (*Mandéisme*) . اما المؤلف فينتمي الى المذهب النقدي ويزعم انه

من اللازم ان نعتبر ، في الاسفار النبوية والعهد الجديد ، كثيرًا من التغييرات والتصرّفات . وهكذا فان جميع الاقسام التي تُنسب الى يهود العصر السابق للجلاء ، آمالًا في الخلاص تكون غير اصلية بل ملحقة في عصر متأخر . اما نظرية اليهود في ما وراء الحياة (*Eschatologie*) فهي مأخوذة ، لا عن مصر ولا عن بابل ، بل عن مذهب الفرس (*parsisme*) ولا صلة بينها وبين نظرية «المخلّص» التي لم تكن تحتوي الّا على الآمال في سلطة زمنية . ولنا في مذاهب المندائية والرؤى اليهودية - المسيحية دليل على الموقف الذي اتخذه يسوع . فان هذه المذاهب تمجّد «ابن البشر» . وكذلك كان يسوع يدعو نفسه ، وهو «ابن البشر» الكائن منذ الازل ، ومن ثمّ «ابن الله» ؛ ولكنه كان يبعد عن نفسه صفة «المسيح» الى ان كان المسيحيون الاوّلون فجمعوا اليه الصفتين . هذا ملخّص رأيه والكتاب دقيق المباحث واضح . اما نظريته فلا تنجو من الانتقادات المصيبة الموجّهة الى المذهب النقدي الصرف . ونحن اذا حللنا الاسفار النبوية والعهد الجديد على هذه الطريقة ، الا تكون احكامنا ظلامًا في ظلام ؟

ر . م .

M^gr Michel Féghali : Syntaxe des parlers arabes actuels du Liban. [*Biblioth. de l'Ecole des langues orientales vivantes*] in -8° *écu de* 535 *pp.*, 1928. *Paris, Geuthner.*

قواعد اللهجات العربية الحاضرة في لبنان

هذا كتاب يستحق المدح كل المدح . فان المؤلف ، فضلًا عن كونه اول من بحث بحثًا مهمًا في غراماطيق اللهجة اللبنانية ، قام بذلك بكل دقة مظهرًا قواعدها العامّة . من ذلك دروسه عن تصريف الفعل ، ومعاني الحروف ، واصل «يشي» الاستفهامية ، ودقائق الحرف «كيف» . على انه حصر ملاحظاته في لهجة اهل كسروان فلم يتجاوزها الى غيرها كما كنا نودّ . ولم يميّز بين السابق الفعلي «عم» او «عن» المستعمل في كسروان خاصة والحرف «عن» . والمعروف ان هذا السابق الذي يتقدم الفعل المضارع مقطوع من اسم الفاعل المجرّد «عامل» او من اسم المبالغة «عمّال» وهذا الاسم الاخير كثير الاستعمال في مثل قولنا «عمّال اكتب» .

وعدا ذلك يمكننا مشاحنة المؤلف في استعمال عنوان كتابه الافرنسي اذ يدعوه «نحو اللهجات العربية»وهو بالحري غراماطيق جامع ؛ اما استعماله لكلمة «اللهجات» بصيغة الجمع فهو ينافي ما اقرّه في المقدمة (ص ١٠) اذ قال بوحدة اللهجة . ولكن كل هذه تفاصيل لا تضير شيئاً مجموع الكتاب النفيس الذي يظهر مقدرة السوريين واللبنانيين ، وهم اذا شاؤوا عزّزوا الناس بجمال لهجاتهم العامية .

ر . ن .

Georges Hug et Guirguis Habachi : Pour apprendre l'arabe· *Manuel du dialecte vulgaire d'Egypte : grammaire, vocabulaire, dialogues. in-12 de* 135 *pp.* 1928. *Paris, Geuthner. Prix* : 20 *f*ˢ.

غراماطيق العربية العامية في مصر

كلما كثر الاوربيون في الشرق شعروا بحاجتهم الشديدة الى التفاهم مباشرة مع الوطنيين ، ومن ثمَّ الى درس اللغة العربية . وهو امر اهتم به مؤلفا هذا الكتيّب فخصّاه بأوربيي مصر . فلخصا لهم القواعد المهمة المستعملة في لهجة مصر الدارجة ، واردفاها بجدول الالفاظ الاكثر استعمالاً ، وببعض العبارات الجارية في التخاطب . ومثّلا كل ذلك بالحرف اللاتيني مع مواقع النبر ، تابعين لهجة القاهرة . على اننا وددنا لو ذكر المؤلفان المبادئ التي سارا عليها في تمثيل الالفاظ العربية .

James Donnadieu : Les consuls de France. *in-8° de* 215 *pp.* 1928. *Prix*, 30 *f*ˢ. *Paris, Librairie du recueil Sirey.*

قناصل فرنسة

يتحقق مطالع هذا التأليف ان المسألة القنصلية من اوعر المسائل واغزرها مادّة للمناظرات ، لما في نشأتها من الآراء المختلفة ، وما في صلاحية القنصل من الامور المتنوّعة ، وما في موقفه من الاهمية او عدمها بحسب البلدان التي يقيم فيها . على ان المؤلف دليل امين عارف بكل هذه الامور . وهو يبسط في القسم الاول كل ما يتعلق بالوظيفة القنصلية ، وصفاتها ، وسعة صلاحيتها . ويخصّ القسم الثاني بالحياة القنصلية ، وكيف ينتخب القناصل ، وكيف يوزّعون . هذا وان

الشرقيين الذين عرفوا قبل الحرب ، عزّ القناصل في بلاد الشرق ليلتذون كل اللذة بطالعة هذا الكتاب ويستفيدون منه معلومات عديدة في موضوع لا يزال من الاهمية بمكان.

ج. ل.

Harry Middleton Hyatt: The Church of Abyssinia. *in-8° de 302 pp. Prix : 6 s. 6 d. London, Luzac*, 1928.

كنيسة الحبشة

لا يخفى ان الحبشة هي البلاد الوحيدة في افريقية (اذا استثنينا ليبرية) التي حفظت استقلالها الداخلي. ومن ثمَّ فيكون لدرس دخول المسيحية فيها وكيفية استقرارها ، اهمية كبيرة . وهذه الاهمية هي التي دفعت المؤلف الى تصنيف كتابه هذا . فخاض موضوعه محيطاً بجميع مظاهر الكنيسة الحبشية ومؤسساتها وحياتها الرهبانية ، الّا ان بروتستانتيته حالت احياناً بينه وبين اعمال مُرسلي الكاثوليكيين فلم يقدرها حقّ قدرها . وهو يختم كتابه بملحقات فيها لائحة ترقيتية للامبراطرة ، ولائحة للآباء ، وشهادة ايمان الامبراطور كلوديوس (القرن السادس عشر)

Jean Longnon: Les Français d'outre-mer au Moyen-Age. *Essai sur l'expansion française dans le bassin de la Méditerranée. in-12. 1929. Paris, Perrin et Cie. Prix : 15 fr.*

الفرنساويون ما وراء البحر المتوسط في القرون الوسطى

كتاب يسرّ به الفرنسويون الذين يقولون لابنائهم ان جدودهم كانوا رجال عزم واقدام ، وانه يجمل بهم اتباع ذاك السلف الصالح . يبيّن فيه المؤلف انه منذ القرن الحادي عشر الى الخامس عشر لم تفتأ المدنية الفرنساوية ، بلغتها ومؤسساتها ، تنتشر في جميع شواطئ البحر المتوسط ، دارساً اسباب هذا الانتشار ونشأته ، واضمحلاله ، وما تركه من التذكارات والنتائج . وهو يبدأ بالنفوذ الادبي والاخلاقي ، فبأسباب التبسّط ، ثم يذكر مملكة الفرنج في صقلّية ، واقامة الفرنسويين في اسبانية وبلاد البرتغال ، وممالك الفرنج في سورية ، ومملكة قبرس ، والامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، وإمارة بلاد موري،

فملكة نابولي . ومما يصف به فرنسوبي تلك الاعصر انهم كانوا يتطبّعون بطبيعة البلاد ، فيعتادون مناخها ، وعادات اهلها المختلفة برغبة شديدة كان من نتائجها قوتهم وضعفهم ايضاً ؟ مظهرين استعدادات طيبة للتخلّق باخلاق الشعب الغريب ، والتساهل معه ، وحسن المخالقة مما يدهشنا في هذا العصر . فنستفيد الفوائد الجمّة من هذا الكتاب موءمّلين انه يدفع بالبعض الى الرغبة في الاسفار ، والى الاجتهاد في تفهم بلاد جيراننا حقّ الفهم ج.ل

Les Missions catholiques et l'œuvre de la civilisation. *Conférences données à l'Institut catholique de Paris* 1927-28. *in*-12° *de* 256 *pp. Prix* : 14 *f*ʳ. *Paris, Bloud et Gay*, 1929.

الارساليات الكاثوليكية وعمل المدنية

توءلّف المحاضرات التي تُلقى كلّ سنة عن الارساليات الكاثوليكية عدة مجلّدات ، والناس لا يشبعون منها بل يُقبلون جماعات لسماع المرسلين الافريقيين ، ومرسلي باريس الاجانب ، وآباء الروح القدس ، والآباء البيض ، والمريميين ، واليسوعيين ، يتكلّمون كلّ فئة عن الامور التي تختصّ بارسالياتها . ونحن نتمنى ان يجتمع الى من يسمع هذه المحاضرات ، كثيرٌ من القرّاء ، فيتعزّز النفوذ الروحي ، وتشتدّ الرغبة في الاطلاع على اعمال هوءلاء المرسلين.

ج. ل.

H. G. Farmer : A history of arabian Music to the XIIIth century. *XV*-264 *pp.* 8°, *pl. London, Luzac et C*ⁱᵉ, 1929.

تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر

موءلف هذا الكتاب مستشرق ومستعرب مشهور بما نشره سابقاً من الابحاث المتعدّدة في الموسيقى العربية . وها هو يتحفنا اليوم بتاريخ مفصّل لهذه الموسيقى من عهد الجاهلية الى سقوط الدولة العباسية . وقد قسمه بترتيب واضح الى سبعة فصول : ١ — عصر الجاهلية . ٢ — عصر النبي . ٣ — عصر الخلفاء الراشدين . ٤ — عصر الامويين . ٥ — ٧ عصر العباسيين . وهو يبدأ كل فصل بذكر الحوادث السياسية والاجتماعية التي اثّرت في التنشئة الموسيقية ، ثم

يصف الحياة الموسيقية في العصر المذكور ، وينهي بتراجم المشهورين من اربابها . وقد تعهّد بنشر مجلّد ثانٍ يدرس فيه النظريات الموسيقية المختلفة من حيث الفنّ .

ونحن ، اذا اعتبرنا المآخذ التي ينهي بها المؤلف كتابه ، نرى انه لم يُهمل شيئاً من المصادر القديمة ولا الحديثة في درس موضوع غاية في اللذة . فاظهر لابناء شرقنا العزيز مثلاً صالحاً عليهم ان يتبعوه ، لاسيما في عصرنا وقد اصبح موسيقيونا ، كالاستاذ صبرا وزملائه ، يهتمون بانهاض الموسيقى العربية ، فنتحول قريباً عن القول ان الغريب ادرى بما في البيت من اهله . ونختم بحضّ جميع عارفي اللغة الانكليزية على مطالعة الكتاب. س . ز .

تفسير التوراة

פירוש כל התורה

تأليف مراد فرج بك

الجزء الاول ص ٣٣٠ وسط – المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٨ – ثمنه ١٥ غ . م .

اخذ مراد فرج بك على عاتقه شرح التوراة باللغة العربية. فاتحفنا اليوم ، بالجزء الاول من مؤلفه يشمل الفصول الخمسة الاولى من سفر التكوين . عرض المؤلف اولاً النصّ العبراني بالابجدية العبرانية ثم فسره آيةً فآيةً وشرح الفاظه كلمةً فكلمةً بالترتيب ، مبيناً النطق العبري مع التحليل الصرفي والنحوي ، ومشيراً الى الجذر العبري والى ما يقابله من جذر عربي او يقاربه ، ومنتهياً بالتفسير الشرعي . ان يكن في الكتاب نقص فهو ناتج عن كثرة اغراضه ، وقد قصد فيه المؤلف تعليم القراءة العبرانية وتلقين مبادي صرفها ونحوها ، والتعمّق في البحث عن اصولها ، والتدقيق في تحديد معانيها ، والتوسّع في شرحها شرحاً شرعياً. وانا وددنا لو افتتح كتابه بجدول المقابلة بين الحروف العربية والعبرانية. اما درسه الاصوات العبرانية فانه في غاية الايجاز ، فلم يفسر مدّ الحركات في بعض المواضع ، وضرب صفحاً عن النبرة الصوتية (*accent tonique*) وتأثيرها فلم يفكّ لغز قواعد الاصوات العبرانية . احب المقابلة بين الجذور

العبرانية والجذور العربية وربما سند شرحه الى رأيه الشخصي فحسب ، مثلاً : ص ٤٣ قال في כשׁר انه عربي اي « سعى » بمعنى عمل وكان الاولى بــه ان يبين كيف انقلب ترتيب الاحرف من ع س ي الى س ع ي فضلاً عن ان حرف ש الصافر العبراني يناسبه بالعربية «ش» لا س. وكذلك قال في ص ١٦١ على ספה (الفصل الثاني ، الآية ٢٣) «وهذا الفعل يقابله عربياً انفحم» وهذه المقابلة لا تجدي نفعاً . نعم من الممكن الحصول على الفاظ مشتركة بين اللغتين في فصول التوراة الاولى ، لما فيهـا من المعاني البسيطة ولما لتلك الفصول من التأثير في الشعوب السامية ، ولكن من بعد تلك الفصول تستقلّ كل لغة من اللغتين بالفاظها . وقد اعتمد المؤلف في الشرح الشرعي خاصة على العلامة هارون الثاني المسمى « تاج الشريعة » . على اننا لا نوافق على الشروح في ص ١٧٤ وما بعدها ، وفي ص ٢١١ فيما يخصّ التجربة ودور الحية وعواقب التجربة ، فانها مناقضة للتفسير المقبول في الكنيسة الكاثوليكية . فلا يجوز من ثمَّ للمسيحيين اعتماد هذا الكتاب . على اننـا نثني على انشاء المؤلف لما فيه من وضوح وطلاوة . ولولا اغراقه في البحث عن دقائق اللفظ العبراني وتوغّله في التنقيب على قواعد التصويت ، لكان اتى القرّاء من بني دينه بشرح رائق لذيذ .

ل . ريغوله

كتاب المساكين

بقلم مصطفى صادق الرافعي

الطبعة الثانية ، دار المصور بمصر ، ١٩٢٩ — ص ٢٨٧ ، وسط — الثمن : ١٠ غ . م .

هو أثر للكاتب المصري المتأنق السيد مصطفى صادق الرافعي وضعه من احدى عشرة سنة ، واعاد طبعه اليوم منقحاً ومزيداً عليه ما يبلغ ربع الكتاب في طبعته الاولى ، ورفعه الى صاحب الجلالة ملك مصر . امـا غاية الكاتب فهي « بيان شيء من حكمة الله في شيء من اغلاط الناس ! » نعم الغاية ! وحبّذا السبيل اليها سبيل المساكين ! كيف لا «ومن عجيب الحكمة انه ما من نبي او حكيم او شاعر يترجم الى لسان الحياة ما هو اسمى من الحياة

ألا استمدّ ذلك من مساكين الحياة خاصّة» (ص : ٤) اضف الى هـذه الغاية النبيلة جدّة في منهج التوسيع ، وجرأة في عرض الآراء ، وشخصية في توليـد الاستعارات ، تجاوز الابتكار احياناً ، ولكنها قد لا تخلو من التكلف لفرط شغف صاحبها بالتأنق والتحسين حتى يكاد المطالع يضيع في الاهتمام بالظاهر عن حقيقة التقسيم . ومهما يكن من الامر فالكتاب في نوعه ذو قيمة لا يستهان بها . ف . ا . ب .

الشعر النسائي العصري

عنيت بجمعه مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود

مطبعة الترقي مصر ، ١٩٢٩ – ص ٥٦ ، صغير – الثمن : ٣٠ مليماً

كتيّب مفيد جمع امثلةً من الشعر النسائي في عصرنا مـع تراجم اربع من شهيرات نجومه هنّ وردة اليـازجي (١٨٣٨ — ١٩٢٤) وعائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وامينـة نجيب (١٨٧٣ — ١٩١٧) وملـك حفني ناصف (١٨٨٦ — ١٩١٨) المشهورة «بباحثة البادية» . وقد الحق به جامعه فصلًا في نقد الشعر واقسامه اقتطفه من كتاب «الشعر والشعراء» لابن قُتيبة . فافاد بمعلوماته ومنتخباته ، وتزيد الافادة اذا وُضع الكتاب في جميع مدارس البنات الابتدائية .

هذا وقد اهدت الينا مكتبة الوفد المذكورة قائمة مطبوعاتها وما تحتويه من الكتب لسنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، فالفيناها جامعة لانواع الدين والادب والتاريخ والرواية ، فنتمنى لها مزيد الازدهار . ف . ا . ب .

منتخبات ادبية

للاب بشير آجيا اليسوعي

الجزء الثالث ، للصف الرابع من التعليم الثانوي – المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٩ – ص ٢١٠ ، وسط

ذكرنا في «المشرق» (٢٦ [١٩٢٨] ٣٩٢) و (٢٧ [١٩٢٩] ٣١٦) مـا امتازت به هذه المجموعة المدرسية الجديدة من حسن اختيار النصوص ، وتنوّعها في الموضوعات والعصور ، وتذييلها بالحواشي المفيـدة ، واستغلالها بالاسئلة

المتعدّدة على المعنى والمبنى . وان جميع هـذه الصفات الحسنة التي تحققناها في الجزءين الأولين نراها في هذا الجزء، وقد تعددت فيه الموضوعات ، وارتقت المنتخبات، ودقّ الفنّ في التصاوير ،وتشعبت الاسئلة والتمارين من لغوية ونحوية، وبيانية ، وانشائية ، على طريقة تفيد الطالب وتستهويه ، فتسير به شيئاً فشيئاً من الحفظ الى التفكير ، الى النقد ، الى التذوق . كلّ هذا تدرّج طبيعي رآءه واضع السلسلة الجديدة على اثر اختبار اعوام عديدة قضاهـا في ادارة الدروس العربية ، فشاء ان يصرف همّته الى بثّ روح العصر الحية المنتجة في اساليب تدريس لغتنا ، وقد كاد يقضي عليها التقليد العقيم. اخذ الله بيـده الى ما فيه خير اللغة ، وحقّق غايته النبيلة. ف. ا. ب.

الفصول الغرر في ترجمة البابا بيوس الحادي عشر

بقلم الخوري الاسقفي بطرس حبيقه

المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٩ ، بيروت . قطع ١٢ ، ص ١٦٦

يحتفل العالم الكاثوليكي في هذا العـام بيوبيل الاب الاقدس الكهنوتي الذهبي ، ويتبارى المؤمنون باظهار ولائهم ومحبتهم للحبر الاعظم بما يقدمون له مما تصل اليه ايديهم البنوية . واننا عهدنا بصاحب هذا الكتاب فارساً طويل الباع في التأليف ، ويراعته مخصبة بما اتحفنـا به في السنين السـابقة باللغتين العربية والافرنسية في ترجمة غبطة البطريرك الماروني ، وها ان قلمه يزدهر اليوم بترجمة البابا بيوس الحادي عشر ، نشرها بمناسبة يوبيله «ليعلم الكاثوليكيون اولاً ثم اخوانهم المنفصلون ما هو متحلّ بـه شخص نائب السيد المسيح على الارض وبقدر معرفتهم اياه يزداد حبهم له». ف. ت.

* برنامج جمعية مار جرجس الخيرية لارمن ماردين الكاثوليك بحلب * شباط ١٩٢٧ — ٣١ كانون الاول ١٩٢٨ — الداخل ٦٠٢٧٠ غرش ذهب الخارج ٢٥٤٣٩ الرصيد ٣٦٨٣١

* برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب * وخلاصة وارداتها ونفقاتها عن سنة ١٩٢٨ : مجموع الداخل ٣٠، ١٢٣٦٦٦ غرش ذهب ، مجموع الخارج ١٠ ، ٦٢٣ ٨٠ الرصيد ٢٠، ٢٦٣ ٠٦٣.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران

سورية ولبنان تم الاتفاق بين فرنسة وتركية على مسألة الحدود السورية (٤ حزيران).

عقدت المعاهدة الجمركية بين سورية وفلسطين وشرق الاردن (٢٨ ايار).

فكر البنك اللبناني السوري بانشاء فنادق في اهم المدن السورية اللبنانية وبتأليف شركة معامل سمنتو لبنانية.

ان آثار تدمر الشهيرة اصبحت في حالة خراب تنذر باندثارها التام في اجل غير بعيد، فلفت العلماء نظر الدولة السورية الى الامر وهي مستعدة ان تبذل مجهوداتها لاصلاح تلك الآثار ووقايتها.

اكتشفت بعثة شافر وشف الاثرية في مدافن راس شمرا، شمالي اللاذقية، على بقايا تماثيل اقيمت في الالف الثاني قبل المسيح، وعلى قطع تماثيل مصرية، وصفائح مكتوبة بالحروف الهيروغليفية؛ وعلى خمس صفائح عليها كتابة بالخطوط المسمارية.

تركية والعجم جاء من طهران ان حركة الناقلات التجارية نشطت بين ايران وتركية نشاطاً عظيماً خلال ربيع هذا العام بالنظر الى التسهيلات التي قدمتها تركية.

حدث زلزال في سوشهري بالقرب من سيواس فهدم ٩٥٠ بيتاً وقتل من السكان ٣٩.

ومن اخبار افغانستان ان امان الله سافر الى قندهار، ومنها الى تشامان، على اثر انكسار آخر قوة من جنوده الحامية لقلعة ابنالراي بعد قتال شديد دار بينها وبين قوات حبيب الله.

العراق تمت المفاوضات لعقد اتفاق ثان بين العراق والولايات المتحدة وبريطانية فيما يتعلق بمسائل البترول. وقالوا ان الحكومة العراقية وافقت مبدئياً على منح الحاج محمد سام احد المتموّلين العراقيين امتيازاً بالتنقيب عن المعادن في المنطقة الواقعة على بعد مئة كيلومتر تقريباً من «الرطبة»، في الصحراء بين الحدود السورية والعراقية.

فاض الرافدان دجلة والفرات في العراق، فضربت المياه سكة حديد بغداد والبصرة، واضطرت ادارتها الى الاستغناء عن نحو ٨٠٠ عامل لتوقف المواصلات بين البصرة وبغداد.

جزيرة العرب افادت اخبار الرياض ان الملك ابن سعود بعد ان تم الفتنة الداخلية اخذ بانشاء جيش نظامي تحت ادارة فريق من السوريين المستخدمين في الجيش الوهابي، والعلماء النجديون لا يعارضون هذه الحركة.

فلسطين تم التوقيع على عقد امتياز البحر الميت في لندره (٢٣ ايار) بين وكلاء التاج بالنيابة عن حكومتي فلسطين وشرق الاردن، وثولوك ونوفومسكي بالنيابة عن اصحاب الامتياز